

إمارة الفموض في جزر هالسياني

في تاريخ شرق الجزيرة العربية

د. عبد اللطيف الناصر الحميد

المقدمة :

ان مما يشير دهشة وحيرة المتتبع لتاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك الفموض الذي يكتنف حقبة طويلة من تاريخ المنطقة الممتدة من كاظمة شمالا لتنتهي جنوبا بعمان الشمالي ويدخل ضمن ذلك سلسلة من الجزر الواطئة الواقعة في الخليج العربي والمجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل مملوء بالحواجز الرملية وقد استقرت في قاعه اشهر مفاصات اللؤلؤ الطبيعي في العالم من حيث الجودة والانتاج ، واكبرها حجما واوسعها شهرة جزيرة اوال (البحرين) .

اما النهايات الغربية لهذه الرقعة الجغرافية ، المعنية بالبحث فتتصل باليمامة . لقد تعارف البلدان يون العرب الاوائل على اطلاق اسم بلاد البحرين على هذه الرقعة ، وهي بهذا الاتساع والامتداد تشمل في الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية كافة ، ابتداء بالكويت وانتهاء بعمان الشمالي . فتاريخ بلاد البحرين هو في الواقع يشكل جزء رئيسا وهاما من تاريخ دول شرق الجزيرة العربية كافة .

ان هذا الاتساع والامتداد لبلاد البحرين وعدم وجود موانع طبيعية تفصلها عما يحيط بها ويجاورها يصعب اجتيازها ، قد ادى الى ارتباط تاريخها ارتباطا عضويا ووثيقا بتلك المناطق عبر العصور المختلفة . وهذه الحقيقة تستلزم من الباحث المدقق الذي يحاول التصدي لاماطة اللثام عن الفموض الذي يكتنف تاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ الخليج العربي عموما بان لا يكتفي بمصادر واحداث المنطقة وحدها بل عليه ان يجول بناظره نحو المناطق المجاورة ليستوعب احداثها وينقب في مصادرها الخاصة والعامة .

والواقع فان منطقة الخليج العربي ليس اصطلاحا جغرافيا يدل على رقعة محدودة من سطح الارض فحسب وانما يشير كذلك الى لون معين من الحياة ، فهي تغري الباحث في التاريخ الحضاري بدراستها كمنطقة متحدة داخليا، اذ انه بالرغم من المؤثرات الخارجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعرضت لها عبر العصور فانها كانت بودقة انصهرت فيها هذه المؤثرات المتنوعة وبقيت تمتلك وحدتها الداخلية في البناء والتنظيم ، فموجات الهجرات البشرية المتبادلة بين سواحلها من جهة ، وكذلك فيما بينها وبين السواحل المحيطة بالبحار العربية والتي كانت تجري تحت ضغط الظروف الطبيعية والحاجات البشرية المتبادلة هي من عوامل وحدتها . وبالرغم من وجود المغريات لدراسة الخليج العربي كوحدة فان هنالك اعتبارات اجتماعية وتاريخية وسياسية تدعو الباحث لابراز خصوصيات الدور الذي لعبه كل جزء من اجزائها عبر مختلف العصور وبشكل متميز .

ان بحثنا هذا ما هو في الواقع الا الحلقة الاولى من سلسلة دراسات تتناول تاريخ الخليج العربي في العصر الوسيط والحديث ، وسوف يكرس لابراز الصورة المميزة لتاريخ بلاد البحرين للفترة الممتدة منذ مطلع القرن الحادي عشر حتى مطلع القرن السادس عشر ، وهي من اشد فترات المنطقة غموضا الامر الذي حمل الباحث النجدي سليمان الدخيل على القول بانه يشكل على المؤرخين الوقوف على حوادثها ووقائعها في اوقاتهما^(١) . ومع بروز الاهمية الاقليمية والدولية لمنطقة الخليج العربي في عصرنا الحاضر وظهور الكيانات السياسية المستقلة فيها ، ازداد الاهتمام بتاريخ المنطقة واخذت تظهر دراسات عديدة وبلغات مختلفة الا ان الباحثين قد اجماعوا حتى الان عن ارتياد هذه الفترة او انهم مروا بها مروا عابرا اسبب رئيس هو قلة مصادرهم ان لم يكن ندرتها ولادراكهم ايضا مدى الجهد المضي الذي يحتاجونه لجسع شتات المادة المتناثرة هنا وهناك والتقاط الاشارات من المصادر النادرة وبلغات متعددة . ولقد عبّر الاستاذ ابو حاكم عن اسفه لعزوف الباحثين عن محاولة الكشف عن تاريخ الخليج العربي خلال العصور السابقة لعصرنا هذا ووصف دراساتهم التي ظهرت حتى الان بانها دراسات عصرية لا تتجاوز « عصر النفط » الا قليلا^(٢) . ان هذه الفجوة في معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربي تشكل نقطة ضعف كثيرا ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية وقومية فيها ، كما رسمت صورة تاريخية للمنطقة بنيت اساسا على تجاهل دور العرب في صنع احداثها لكي ينسجم ذلك ومثل هذه الادعاءات وعلى الرغم من ان مثل

هذه الادعاءات قد خفت الى حد كبير فان اثارها الثقافية لا تزال باقية ، الامر الذي يستلزم التصدى بموضوعية لرسم صورة اقرب الى وقائع التاريخ لتتجاوز على الصورة المنحازة التي رسمت لتاريخها (٣) .

توطئة في السمات العامة لبلاد البحرين

قبل التطرق لتاريخ بلاد البحرين خلال الفترة المذوة عنها سابقا ، يستحسن ان نشير ولو اشارة موجزة جدا الى المظاهر العامة لبيئتها الطبيعية والتي اثرت اعماق الاثر في حياتها وطبعت تاريخها السياسي والاجتماعي والاقتصادي بطابعها ، واول هذه المظاهر سعة رقعتها الزراعية بالمقارنة مع كثير من مناطق جزيرة العرب ، حيث تتوفر فيها المياه العذبة والعيون التي تجري مياهها على سطح الارض ، اضافة الى قرب مياهها الباطنية من سطح الارض ، وهذا العامل ساعد على امتداد الرقعة الزراعية فيها والتي كانت في العصور الماضية اكثر اتساعا مما هي عليه اليوم . ويستدل على ذلك اولا من كثرة اسماء القرى والمستوطنات المأهولة بالسكان والتي اورد ذكرها البلدانون العرب ، الا ان كثيرا منها قد اختفى من خارطة الاقليم في الوقت الحاضر ، ونانيا ان الابحاث الحديثة قد ابدت ايضا اتساع الرقعة الزراعية في الماضي (٤) .

لقد وفرت هذه الظروف الطبيعية المستلزمات الضرورية لقيام حياة مستقرة تعتمد على الفعاليات الزراعية وسد الطلب على المنتجات الزراعية لكل من سكان البوادي واسواق الخليج العربي ، بل وتصدير ما يفيز عن ذلك وخصوصا التمور الى السواحل المطللة على البحار العربية والمحيط الهندي .

ان هذه البيئة الزراعية قد فرضت وجود نشاط اقتصادي ذي اوجسه متعددة وقيام علاقات انتاجية وتركيب اجتماعي في المنطقة يختلف في كثير من خصائصه عما حوله من بوادي . ففي مثل هذه البيئة ينترض سعي سكانها لاقامة سلطة تعمل على توفير الامن والنظام وحمايتهم من خطر سكان البوادي المتربصين دائما بالمنطقة ، وكذلك الاشراف على توزيع المياه وحماية مصادرها من الاندثار وتنظيم العلاقة بين المستثمرين والمنتجين واوجسه النشاطات الاقتصادية الاخرى ، وكل ما ينشأ عنها من علاقات اجتماعية وقانونية ، الامر الذي يستلزم وجود اجهزة متخصصة وقوة رادعة . ان السلطة التي تقوم في مناطق الاستقرار من بلاد البحرين سوف يكون من اهدافها الاستراتيجية الثابتة هو التطلع لتحقيق صلة وثيقة بالبيئتين المجاورتين ، وحمايا البيئة الصحراوية ، والبيئة البحرية ، وان تسعى لاقامة هذه الصلة اما بطريق الاخضاع المباشر او باقامة التحالفات القائمة على اساس المنافع المشتركة .

وكثيرا ما ينشأ عن ذلك حروب مع سكان هاتين البيئتين . ان نجاحها في ذلك سوف يحقق ربط طرق التجارة البحرية بطرق التجارة البرية ، الامر الذي ينتج عنه نفعا اقتصاديا كبيرا لمناطق الارياف ويحقق الاستقرار السياسي والاقتصادي فيها والنقطة الاخيرة والجديرة بالاشارة هنا هو ان سكان المناطق الزراعية نظرا لارتباطهم بالارض وبالملكيات الثابتة هم اطوع للحكام واسهل خضوعا للسلطة يل واستغلالا من قبلها ومن قبل طبقة الملاكين ، وهذا على عكس الحال في البيئتين المجاورتين البحرية والصحراوية .

اما المظهر الثاني لبلاد البحرين فهو البيئة البحرية ، اذ ان طول سواحلها الممتدة على الخليج العربي وكثرة تماريجها ادى لان يلعب سكانها دورا مؤثرا في كافة اوجه النشاط التي تحدث في المنطقة كما انها اصبحت من المناطق التي تستقبل التأثيرات من خارج حدودها عن طريق سواحلها وجزرها ، ونظرا لكون المناخ والبيئة الصحراوية هي السائدة في بلاد البحرين فان الامر قد ادى لان تصبح بيئة طاردة لسكانها نحو البيئة البحرية المجاورة والتي هي اكثر غنى وضمانا فيما تغله من ثروة سمكية في مياهها ومن لؤلؤ في اعماقها ومن فرص للريح في النشاط التجاري مع الخارج ، ومما هو جدير بالذكر هنا ان النشاط الاقتصادي لسكان السواحل والجزر في حرفتي صيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ يتزامن مع النشاط الاقتصادي لسكان الارياف في بلاد البحرين في جني محصول التمر . على ان هناك وجه شبه بين حياة سكان البيئة البحرية والبيئة الصحراوية فاذا كان البدو ينتقلون مع قطعانهم من مكان الى اخر طلبا للماء والكأ فان عرب السواحل والجزر ينتقلون هم ايضا من مكان الى اخر عندما تضطربهم الظروف الى ذلك ووسيلتهم هي سفنهم التي يحملون فيها اهم ممتلكاتهم . فالسفينة لديهم كوسيلة للحياة في عالم البحار تحتل نفس الاهمية التي تحتلها الابل لدى البدو . فاذا كانت الطبيعة قد سغت على عرب البادية بهذا الحيوان العجيب الذي اطلق عليه جوازا بسفينة الصحراء ، فان المعارف البحرية المتميزة لعرب السواحل قد هدتهم لصنع السفن الشراعية وتطويرها بما يتناسب وحاجاتهم في النشاط البحري فطبعوها بطابعمهم وحققوا لهم بذلك امتدادا جغرافيا وبشريا وحضاريا يفوق كثيرا رقعتهم الجغرافية . فكانت استجابتهم لتحدي الطبيعة البحرية استجابة مناسبة جدا ، تنم عن عبقرية فسدة بالمقاييس الحضارية لمصرهم فاكسبتهم بذلك تفوقا متميزا في النشاط البحري ولقرون طويلة جدا (٥) .

ان البيئة البحرية لبلاد البحرين قد ولدت طبقة من السكان لها ثقلا في الحياة الاقتصادية والسياسية ، لا يجوز للباحث في تاريخ المنطقة اغفالها كما

انها افرزت زعامات تعتمد في مراكزها على قوتها الاقتصادية الناتجة عن سيطرتهم على قطاعات واسعة وهامة من النشاط الاقتصادي وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ واصحاب السفن ويسندهم عدد كبير من الاتباع الذين يدنون لهم بالولاء نتيجة لتبعيةهم الاقتصادية لهذه الزعامات وهؤلاء صيادو الاسماك واللؤلؤ والعاملون في السفن التجارية .

ان هذه القوة المنتجة اقتصاديا تشكل في الواقع قوة عسكرية احتياطية، كثيرا مازجها هؤلاء الزعماء في صراعاتهم السياسية ، فكثير من الاحداث التاريخية التي مرت بها منطقة الخليج عبر عصورها المختلفة لا يمكن فهمها فهما سليما من دون الانتباه الى الدور الذي لعبته هذه القوى في صنع الاحداث في المنطقة .

اما المظهر الثالث والاخير للبيئة الطبيعية لبلاد البحرين والتي لها التأثير الاعمق فهي البيئة الصحراوية السائدة في الاقليم والتي فرضت نمطا من الحياة الاجتماعية ، هي الحياة القبلية والتي طبعت التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة بطابعها حتى العصر الحديث ، مما حمل احد المتخصصين بمنطقة الخليج العربي الى القول بان من الخطأ ان نعزو الخلافات حول الحدود في شرق الجزيرة العربية الى سبب رئيس هو اكتشاف النفط بل يجب الانتباه الى عامل اخر لا يقل عنه خطورة يسبق اكتشاف النفط الا وهو الطبيعة القبلية للمجتمع العربي في المنطقة وما يتمسك به من مفاهيم حول حدود السيادة الاقليمية والمستمد من تراثه القبلي (٦) .

ان الظاهرة الرئيسية للبيئة الصحراوية هي فقرها وعجزها عن سد احتياجات سكانها خصوصا عندما تتزايد اعدادهم ويحدث نقص خطير في مراعي القبائل لذا فهي بيئة طاردة نحو المناطق الاكثر غنى من بلاد البحرين وهي البيئة البحرية والبيئة الزراعية الامر الذي يعرض هاتين المنطقتين دائما لضغط سكان البداية وتوغلهم فيها ويزداد توغلهم كلما احسوا بضعف السلطة السياسية في هاتين المنطقتين ، ويميل قسم منهم الى الاستقرار ، ولقد اوضحت دراسة بارث عن البداوة ان الذين يميلون الى الاستقرار من بين البدو هم الاكثر غنى وكذلك الاكثر فقرا (٧) .

على ان الافراد الذين لهم ثقلهم بين القبائل - بالرغم من استقرارهم وامتلاكهم الاراضي - فانهم يبقون على صلة بقبيلتهم ويحافظون على نفوذهم فيها ، وهم بذلك يشكلون همزة وصل مابين البدو والسكان المستقرين ومابين القبيلة ومناطق الاستقرار ، وربما يكون استقرار بعض زعماء القبائل بتشجيع من السلطة القائمة في المدن . واستقرار هؤلاء هو في الواقع اضعاف لهذه السلطة لانهم سوف يكونون جاهزين للعمل كوسطاء مع قبائلهم .

والنقطة الاخيرة التي يجب ذكرها هنا في العلاقة ما بين سكان البادية
وانسكان المستقرين هو ان عرب البادية في بلاد البحرين يسيطرون دائما على
طرق القوافل التجارية البرية والتي تبدأ عادة او تنتهي بالموانئ الواقعة
على ساحل الخليج العربي . لذا فهم كثيرا ما يحاولون السيطرة على هذه
الموانئ التجارية ليمدوا منها سيطرتهم ايضا على الطرق البحرية فتقوم حالة
من التعايش ما بين طرق القوافل البرية والطرق البحرية وما بين البدو الذين
يسيطرون على الطرق البرية وسكان السواحل والجزر في الخليج العربي
الذين يديرون الطرق البحرية .

من هذا ندرك ان القوى القبلية كانت تلعب ادوارا خطيرة كلما سمحت
لها الظروف العامة بذلك .

والواقع فان التفاعل ما بين البدوة والاستقرار وما بين القبيلة والدولة
يمثل احد المظاهر الاساسية لتاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصا وتاريخ
الوطن العربي عموما . ان هذه السمات البارزة للبيئة في بلاد البحرين وما
افرزته من نتائج قد اوردناها توطئة تساعدنا على تفهم اكثر للوقائع التي
سوف نتعرض اليها في الصفحات اللاحقة .

- ١ -

استقرار بني عامر في البحرين

يلاحظ الدارس لتاريخ الخلافة العباسية في فترة ضعفها ان القوى
القبلية قد اخذت تلعب ادوارا سياسية رئيسية ضمن مناطق مختلفة من العراق
والجزيرتين العربية والفراتية بحيث لا يمكن للباحث تجاهلها .

وقد نجحت بعض هذه القوى القبلية في تكوين كيانات سياسية خاصة بها
كالعمدانين وبني عقيل وبني اسد والمنتفق وخفاجة ، الا انه بظهور الوصاية
السلجوقية على الخلافة العباسية اخذت هذه الكيانات تختفي مسن الغارطة
السياسية الواحدة بعد الاخرى .

ومع نهاية القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد ومطلع القرن
السابع / الثالث عشر كانت خارطة القوى القبلية المؤثرة في الحياة السياسية
قد تغيرت عما كانت عليه في السابق .

ويورد لنا القلقشندي (ت ١٤١٨ / ٨٢٨) خارطة للتوزيع القبلي في
حدود النصف الاول من القرن السابع للهجرى / الثالث عشر للميلاد معتبرا
فيما يورده من معلومات عن هذه القبائل في هذه الفترة وما بعدها على مؤلفين

متأخرين لمعلوماتهم اهمية خاصة .

ومن ابرز هؤلاء ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥ / ١٢٨٦) والحسداني المعروف بابن زماخ المتوفي في مطلع ق ١٤ / ٨ ، وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ / ١٣٤٨) واخيرا ابن خلدون (ت ٨٠٨ / ١٤٠٥) والذي يهمننا من هذه المعلومات هو مايتعلق منها ببلاد البحرين .

ان روايات هؤلاء جميعا تكاد ان تتفق تمام الاتفاق على ان القبيلة التي كانت تمتلك زمام السلطة السياسية خلال القرنين السابع والثامن / الثالث عشر والرابع عشر في كل من البحرين واليمامة هي قبيلة بني عامر بن عقيل . فمن هم بنو عامر وماهو دورهم في الاحداث قبل هذا التاريخ وبعده ؟ للاجابة على هذا السؤال سوف نعود القهقري بضعة قرون الى الوراء لنستعرض جوانب من تاريخ بلاد البحرين بما له من علاقة ببني عامر .

تجمع المصادر على ان بني عامر ينتسبون الى بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، وان بطون بني عقيل المشهورة هم بنو عباد وبنو المنتفق وبنو خفاجة وبنو عامر .

وكان العراق وبلاد البحرين احد الموطن الرئيسة التي استقرت بها هذه البطون ، بعد ان غادرت موطنها في نجد ، وقد لعبت هذه البطون ادوارا مهمة في هذين الاقليتين ، وكثيرا ما اطلق اسم بني عقيل على بطن او اكثر من هذه البطون ، الامر الذي يثير بعض الاشكال للباحثين في التميز بين الفرع والاصل وهذا مايحدث كثيرا عندما يشار لبني عامر في البحرين ببني عقيل . ويبدو ان ذلك راجع الى تجاورها في المسكن واحتلالها بعضها ببعض (٨) .

ان من الاجدى عند دراسة القبائل ان نميز ما بين الاتحادات القبلية وبين زعامة هذا الاتحاد اذ ان بعض العشائر والبطون والاخاذ كثيرا ماترتبط بهذا الاتحاد او تنفصل عنه تحت ضغط الظروف السياسية والطبيعية والاجتماعية .

وفي الحقيقة فان اسم بطون بني عقيل قد ارتبط ببلاد البحرين منذ ان انتقلوا اليها من موطنهم في اواخر القرن الثالث / التاسع على رأى رنر (٩) ، حيث عاشوا جنبا الى جنب مع قبائل كثيرة مثل بكر بن وائل وتميم وعبد القيس وبني سليم ، وكان ابرز هذه القبائل القبيلتين الاخيرتين (١٠) .

ان ترتيب الاحداث يشير الى ان بطون بني عقيل عندما غادرت موطنها الاصيلة في نجد استقرت في البحرين حيث كانت هذه البلاد تحكم من قبل القرامطة ، او انهم انتقلوا اليها مع ظهور حركة القرامطة بعد ان تحالفوا معهم . فأين الاثير يذكر في حوادث سنة ٢٨٦/٨٩٩ ان ابا سعيد الجنابي مؤسس دولة قرامطة البحرين قد لقي مؤازرة وتأييد بعض القبائل ذكر منها عقيل عامر ، والى هذه المؤازرة يعود نجاحه . اما ابن خلدون فيروي انه عندما قامت فتنة القرامطة بالبحرين صار كل من بني سليم والكثير من بني عقيل حلفاء وجنود لابي طاهر سليمان ابن ابي سعيد الجنابي الذي خلف اياه في حكم قرامطة البحرين في حدود عام ٣٠٣/٩١٥ . كما انه قال في موضع اخر بأن القرامطة كانوا يستنجدون بعرب البحرين على اعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم (١١) .

والواقع ان هجمات قرامطة البحرين المتكرره على عمان وبلاد الشام وارياف العراق خلال القسم الاكبر من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (١٢)، يمكن اعتبارها من بعض الوجوه هجرات قبلية رافقها تسلل واستقرار بعض بطون بني عقيل في هذه المناطق .

فالروايات المتواتره تشير الى ظهور نشاط بطون بني عقيل في حدود هذا التاريخ . فبنو خفاجة كانوا قد استقروا في خلال هذا القرن على اطراف الفرات الاوسط حيث تصاعد نشاطهم الى درجة كبيرة في القرون اللاحقة . (١٣) يضاف الى ذلك ظهور نشاط المنتفق بجوار البصرة بقيادة زعيمهم الاصفر (١٤) اعتبارا من عام ٣٧٨ ، اما بنو عباد وبنو مالك من بطون عقيل ، فان ابن خلدون يعزو تكوين دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة في حدود عام ٣٨٠/٩٩٠ الى هذين الفرعين بعد ان استطاعوا انتزاع هذه المناطق من اسرة بني حمدان من قبيلة بنسي تغلب الا انه بعد القضاء على دولتهم في الموصل عام ٤٨٩/١٠٩٦ عادت هذه البطون او على الاقل الغالبية العظمى منهم الى جنوب العراق حيث استقروا ما بين البصرة وواسط والكوفة ، فعاشت عباد متجاورة في المسكن مع بني المنتفق (١٥) .

وبمتابعة النشاط القبلي الذي كان يرافق نشاط قرامطة البحرين نجد ان بني هلال بن عامر بن صعصعه وبني سليم قد استقر قسم منهما في بلاد الشام ضمن دائرة النفوذ القرمطي هناك ، الا انه بعد ان استطاع المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥/٩٥٣-٧٥) انتزاع بلاد الشام من القرامطة ، قام بنقل اتباعهم من بني هلال وسليم وانزلهم ببلاد الصعيد (١٦) .

اما مصير القسم الاكبر من بني سليم في بلاد البحرين ، فانه بعد ضعف قرامطة البحرين وارتقاء قبضتهم على البلاد خلال القرن الخامس / الحادي عشر ، اتحدت عبدالقيس مع بني عامر احدى بطون عقيل ضد بني سليم واخرجوهم من البحرين ومعهم قسم من بني المنتفق (الخلط) فغادروها الى افريقيا (تونس) (١٧) .

ان ابن خلدون حينما يتابع نشاط بطون عقيل المختلفة ، يمتاز عن القلقشندى بدقة نسيبه في التمييز بين هذه البطون فهو يذكر انه بعد نزوح سليم والمنتفق (الخلط) الى افريقيا ، بقيت في جهات بلاد البحرين سائر بني عقيل ، الى ان استطاع احد بطونهم وهم بنو عامر اخوة المنتفق ان يتغلبوا على بني ابي الحسين (١٨) (العيونيون) وينتزعوا الملك منهم في بلاد البحرين وعمان .

بقي ان نضيف ملاحظته اخيره الى ما ذكره ابن خلدون في ان بني عامر يعيشون الى الجنوب من البصرة الى جوار اخوتهم المنتفق (١٩) ، فانه قصد بذلك بان مساكنهم تمتد من جنوب البصرة حتى البحرين ، وقد استندنا في ذلك الى ما اورده سابقا من نصوص والى ما سوف نورده حول مواطن بني عامر . كما انه من الممكن ان نشير ايضا الى عدم وجود تعارض بين ما ذكره ابن خلدون هنا من ان مواطن المنتفق في البصرة هي الى جوار بني عامر وبين ما ذكره في موضع اخر من ان بني المنتفق قد انتقلوا الى افريقيا (تونس) وعرفوا هناك بالخلط . اذ ان ابن خلدون قد قصد بذلك الى ان قسما من المنتفق قد انتقل الى افريقيا اما القسم الاكبر فقد استقر بجهات البصرة وقد بقوا في هذه الاماكن دون تغيير كبير حتى العصور الحديثه .

والواقع ان بطون بني عقيل وعلى وجه التخصيص المنتفق وعامر واللدان امتدت ديارهما من البصرة حتى اليمامة وعمان كماوا متداخلين فيما بينهم وكان طبيعيا ان تقوم بينهم صلات التعاون والتناحر على حد سواء .

ان هذا التقارب في الاصل والموطن هو الذي حصل البعض على ان يطلق اسم احد البطون على الاخرى او ان يستعمل اسما جامعا لكافة هذه الفروع في هذه الامتداد الجغرافي والقبلي المتصل وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمري في القرن الثامن الرابع عشر حينما قال بأن عرب عقيل وبتونها من عامر والمنتفق وغيرهما يعبر عنهما بعرب البحرين (٢٠) .

علاقة بني عامر بقرامطة البحرين ونشاطهم في هذه الفترة

ان استعراضنا لنشاط بني عامر في هذه الفترة سوف يكون من اهدافه الاولى تأكيد وجود الصلة الوثيقة التي كانت تربطهم ببلاد البحرين، ثم اضعاف ان لم يكن نفي الفكرة القائلة بأن ظهورهم فيها ونشاطهم كان مرتبطا اشد الارتباط بسقوط دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة عام ١٠٩٦/٤٨٩ (٢١) اذ ان الاحداث التي سوف نوردتها ولعب فيها بنو عامر دوراً رئيساً قد وقعت قبل تاريخ سقوط دولة بني عقيل . على اننا لانستطيع ان نقطع بعدم وجود صلة بين تصاعد قوتهم وعودة بطون بني عقيل من جهات الموصل الى جهات البصرة .

لقد سبقت الاشارة الى ما رواه كل من ابن الاثير وابن خلدون عن قيام تحالف بين قرامطة البحرين وبعض القبائل ، والتي كان من بينها بنو عقيل ، وغني عن القول بان هذا التحالف لا يقتضي بالضرورة وجود اتفاق تام في الاهداف والمبادئ بين الطرفين اذ ليس هناك ما يشير الى ان هذه القبائل قد تقبلت معتقدات القرامطة ، كما انه ليس هناك من دليل على ان الزعامة القرمطية كانت تقيم تحالفاتها على اسس عقائدية دائماً ، بل انه من المؤكد ان مثل هذه التحالفات قد قامت نظراً لوجود نقاط التقاء سياسية واقتصادية وعسكرية بين الطرفين . ان اقليمي البحرين واليسامه هما من الاقاليم التي تكررت فيها الحركات الخارجة على السلطة المركزية في بغداد قبل ظهور القرامطة ، وان البعض من هذه الحركات كان ذا اهداف ومبادئ سياسية ودينية معينة ، وقد ساهمت بعض قبائل هذه الاقاليم في هذه الحركات خصوصاً قبائل عبدالقيس . وبالرغم من فشل هذه الحركات الا انها بالتأكيد قد تركت اثاراً في نفوس وعقول السكان وان اقل ما يمكن ان يقال في ظاهرة التمردات المتعددة في هذه المناطق هو وجود الكراهية للسلطة المركزية وزادها كرها الحملات العسكرية التي جردت ضدها وما يرافقها عادة من تنكيل وبطش ، الامر الذي جعل السكان على استعداد لتأييد كل خروج على هذه السلطة كلما اتاحت لهم الفرصة لذلك . وفي تقديرنا ان العامل الرئيسي الذي يدفع القبائل للتعاون مع الخارجين على السلطة المركزية هو حالة الفقر المدقع التي يعيشها افرادها نظراً لفقر بيئتهم وعجزها عن سد متطلباتهم وما ينشأ عن هذه البيئة من قيم بدوية ومفاهيم سياسية يتضامن امامها اي وازع حتى الوازع الديني لذا فهم ينظرون الى سكان المناطق الضرية نظرة فيها الكثير من الازدراء والعقد ، لما يتمتع به

هؤلاء من رفاه نسبي في العيش مقارنة بحياتهم البائسة . كما انهم ينظرون الى المناطق الحضرية على انها المجال الحيوي لنشاطهم ولسد احتياجاتهم المادية ، بصورة سلمية او حربية ، فعيشهم في اطراف سيوفهم كلما اضطروا الى ذلك .

ومن هنا كان التقاء هذه القبائل التي تغلب عليها البداوة في عيشها او في قيمها مع الزعامة القرمطية التي قد تتيح لهم فرصة للكسب . اما القرامطة فقد كانوا يرون بالتأكيد في هذه القبائل القوة العسكرية الاساسية التي يمكن بواسطتها تحقيق اهدافهم او بعضها دون ان تكلفهم اعباء مالية باهضة فهاجموا بواسطتها مناطق واسعة من الهلال الخصيب ومصر والجزيرة العربية وتحقق للطرفين فوائد مادية وسياسية واضحة . على انه يجب ان نستدرك فنقول انه لايمكن ان نتوقع ان تسير العلاقة بين هذين الطرفين

بشكل متوافق ولمدة طويلة . اذ لايد ان تثور المنازعات فيما بينهم لسبب او لآخر وقد الملح ابن خلدون الى ذلك حين قال: كان القرامطة يستعينون بعرب البحرين في حروبهم وربما يعاربونهم ويقاطعونهم في بعض الاوقات (٢٢) . وكلما ظهرت بوادر ، ضعف السلطة تزايدت هذه التمردات ، واذ كنا قد اشرنا فيما سبق الى اضطراب بعض القبائل المتحالفة مع القرامطة الى مغادرة البحرين فانه من الصعب ربط هذه المهاجرة بعلاقات سلبية مع السلطة القرمطية لعدم توفر الدليل الواضح الذي يؤثر ذلك الا اننا نملك بعض الامثلة الواضحة على خروج بعض حلفاء القرامطة عليهم خصوصا في فترة ضعفهم وارتخاء قبضتهم على البلاد حيث اصبحوا تحت رحمة حلفاءهم .

ان ما يعيننا هنا من هؤلاء الحلفاء هم بنو عامر ومن يمت اليهم بصلة نسب قريب وتتابع هذا النشاط حتى نجاحهم في الاستيلاء على السلطة في بلاد البحرين .

يقول ابن الاثير انه في سنة ٢٧٨/٩٨٨-٨٩ قام زعيم المنتفق المعروف بالاصفر (ويرد تارة باسم الاصيفر) - وهو لقب له فيما يبدو وليس باسمه الحقيقي - بحشد جموع كثيرة وحارب القرامطة وانتصر عليهم ووقع بهم خسائر كبيرة ثم حاصرهم بالاحساء حيث تحصنوا ، فلما امتنعت عليه زحف الى القطيف فأكتسحها واخذ ما فيها من عبيد واموال تمود للقرامطة ثم انسحب الى البصرة (٢٣) .

ان ابن الاثير لم يعطينا اية تفاصيل عن الموضوع الذي تحرك منه

الاصفر ، فلا نعلم اكانت البصرة هي المكان الذي تحرك منها واليها عاد ام ان ذهابه الى حدود البصرة كان خشية من ان ينتقم منه ؟ ومها يكن من امر فان زعيم المنتفق كان يقوم بنشاطه في مناطق يعتبرها القرامطة واقعه تحت نفوذهم . والدليل على ذلك انه عندما قام معز الدولة ومعه الخليفة المطيع بالله بالزحف على البصرة عام ٣٣٦/٩٤٧-٤٨ لانتزاعها من ابي القاسم البريدي وسلكوا اليها طريق الصحراء احتج قرامطة البحرين على ذلك معتبرين هذا العمل خرقا لحرمة اراضيهم التي لايمكن سلوكها بدون اذنهم وقد دفعهم هذا الانتهاك لاراضيهم للانتقام بالتعاون مع ابن الوجيه صاحب

عمان في الهجوم على البصرة عام ٣٤١/٩٥٢-٥٣ (٢٤) . فزعيم المنتفق الاصفر كان نشاطه مستمرا في هذه البادية ما بين البصرة والبحرين حتى وفاته ، يعترض طريق الحاج ويرغم البويهيين على ان يدفعوا له مبالغ معينة لقاء عدم تعرضه للحاج (٢٥) ، ومن الجدير بالذكر ان مثل هذه الاعمال كانت في السابق موكولة للقرامطة . وان بروز نفوذ المنتفق في هذه الفترة وفي بادية البصرة دليل واضح على انكماش نفوذ القرامطة .

اما الرحاله الشهير ناصر خسرو فانه يذكر لنا انه خلال وجوده في الاحساء عام ٤٤٣/١٠٥١ شاهد اميراً عربياً يحاصرها وانه قد مضى على حصاره لها سنة كاملة . وقد قال له الامير العربي أنه يعتزم الاستيلاء على الاحساء لان اهلها لا دين لهم (٢٦) . على ان الرحالة خسرو لم يذكر لنا اسم القبيلة المتمردة او زعيم هذه القبيلة ، الا انها اشارة مهمة تدل ايضاً على تداعي سلطة القرامطة وخروج بعض القبائل عليهم . واعقب هذه الاحداث بقليل قيام احد الاثرياء العرب في جزيرة البحرين الملقب بأبي البهلول واسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج بالاستيلاء على جزيرة اوال (البحرين) عام ٤٥٠/١٠٦٨ ، ولقد سارع القرامطة بالاستعانة ببني عامر وبعض بطون عبد القيس ، الا ان العوام انتصر عليهم في معركة بحرية واعلن استقلاله في الجزيرة وولاه للخليفة العباسي (٢٧) . ثم ثار على القرامطة بني محارب أحد اقوى بطون عبد القيس بزعامه ابن عياش الذي انتزع القطيف منهم في العقد السادس من القرن الخامس / العاشر عشر ثم مد ابن عياش سيطرته على جزيرة اوال منتزعا اياها من العوام (٢٨) ومن المحتمل جداً ان بني عامر كانوا هم القوة الرئيسية ان لم تكن الوحيدة من بين حلفاء القرامطة التي بقيت الى جانبهم حتى النهاية . ان دى غوييه الذي كتب عن نهاية قرامطة البحرين معتمداً على الشروح والتعليقات الغنية لمخطوطة نادرة لديوان ابن المقرب تفوق

كثيرا مخطوطة بومبي ، ذكر بأن بني عامر كانوا قد فرضوا على القرامطة ان يدفعوا لهم جزءاً من حاصلات بلاد البحرين مقابل الحماية او الخفارة (٢٩) والخفارة او الحماية نظام كان معروفاً عند العرب قبل الاسلام بقرون عديدة وقد ظل موجوداً حتى وقت قريب ، وهم يعتبرونه حقاً من حقوقهم وكان عدم الاقرار لهم بهذا الحق يعرض القوافل التجارية ومناطق الاستقرار لهجماتهم . ان اعتراف القرامطة لبني عامر بهذا الحق هو موقف يبدو سليماً من جانبهم لانه يخفف عنهم اعباءاً امنية ومالية كبيرة ، ويؤمن سير القوافل التجارية مقابل نفقات قليلة تدفعها السلطة والتجار ، الا انه من الوجهة الثانية يعكس ضعف القرامطة وعجزهم عن القيام بهذا العبء امام قوة بني عامر .

- ٣ -

علاقة بني عامر بالعيونيين

لقد تلا الاحداث التي اشرنا اليها سابقا والتي هي مؤشر على ضعف وتداعي قوة القرامطة قيام عبدالله بن علي العيوني الذي ينتمي الى عبدالقيس بمحاولته الناجحة في انهاء حكم القرامطة من بلاد البحرين مستعيناً بسultan السلاجقة أبي الفتح ملكشاه الذي ارسل له قوة كبيرة بقيادة أرتق بك ، فتم له انتزاع القطيف اولاً من ابن عياش عام ٤٦٧/١٠٧٤ ثم تلا ذلك انتزاعه للاحساء من القرامطة في حدود عام ٤٦٩/١٠٧٦ - ١٠٧٧ واقام حكومة فيها تدين بالتبعية للخلافة العباسية في بغداد .
ومما هو جدير بالملاحظة ان بني عامر وقفوا الى جانب القرامطة في محنتهم هذه فقاتلوا جنود العباسيين كما قاتلوا جنود عبدالله بن علي العيوني (٣٠) .

ان قيام سلطة العيونيين الجديدة في بلاد البحرين لم تمنع بني عامر من محاولة فرض نفوذهم عليهم ومطالبتهم بان يدفعوا لهم مثلما كان يدفع لهم القرامطة ، لذا فقد شهبوا سلاحهم ضد الامير عبدالله بن علي العيوني الذي كان قد قطع عنهم ما كان يدفعه لهم القرامطة من عوائد وجرايات الا ان الاخير تصدى لهم بقوة وعنف ووقع بهم هزيمة كبيرة وخسائر فادحة الامر الذي اضطر قسماً منهم الى اللجوء الى قبيلة المنتفق بجوار البصرة (٣١) .

على ان نشاط بني عامر لم يتضاءل او يضعف بعد قيام حكم العيونيين واتجاه سلطة العيونيين نحو الانحدار التدريجي ، بل اننا نستطيع ان نقول الا فترة قصيرة ، ثم اخذ يتزايد بشكل ملفت للنظر وبصورة طردية يتناسب

انهم كانوا احد العوامل الرئيسية في اضعاف سلطة العيونيين وان ما سوف نوردته من وقائع تؤيد ما ذهبنا اليه .

فابن الأثير يذكر في حوادث عام ٤٨٣/١٠٩٠ ان زعيم بني عامر قد قام على رأس عشرة الاف رجل بالزحف من الاحساء نحو البصرة ونهب المدينة نهبا شنيعا واحرق بعض مواضعها الامر الذي حمل السلطة ببغداد على الاسراع في ارسال نجدات كبيرة لانقاذ المدينة المنكوبة (٣٢) .

ان هذا الحادث يعكس لنا أن بني عامر قد اصبحوا سادة البادية ما بين البصرة وبلاد البحرين وهذا ما يؤيده ايضا وصف الشريف الأدرسي (الف كتابه في حدود عام ٥٤٨/١١٥٣) لبادية البحرين حيث قال « ٠٠٠ » ريتصل بالقطيف الى ناحية البصرة بر متصل لاعماره فيد ، اي ليس فيه حصن ولا مدينة وانما به اخصاص القوم من العرب يسمون عامر ربيعه » (٣٢) .

ومهما يكن من أمر فإن اشعار ابن المقرب العيوني (ت في حدود عام ١٢٣٢/٦٣٠ - ٣٣) طافحه بالاشارة الى نشاط بني عامر والى الصدامات التي كانت تحدث فيما بينهم وبين الحكام العيونيين وكثيرا ما حاصروا واحات القطيف والاحساء تحت قيادة زعيمهم غفيله (او عقيله) ٠٣٦ فقد كان بنو عامر يصرون على ان يدفع لهم العيونيون من الاموال مثلما كان القرامطة يدفعونه لهم . الى ان نجحوا في النهاية في ازغام العيونيين على الاقرار لهم بذلك . لذا فقد وصف ابن المقرب في احدي قصائده بلاد البحرين بانها ارض عامر لانهم اهل البادية واصحاب خفارتها (٣٥) .

ان خضوع الحكام العيونيين لمطالب بني عامر مؤثر واضح على عجزهم عن اخضاعهم بالقوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسة الترضيه معهم . وان ذلك يمكن ان يترجم على ان بني عامر قد امسحوا يتحللون مسؤولية حماية ارياف البحرين وقوافل التجار والحجاج مقابل مبالغ معينة يحصلونها من المزارعين والتجار والسلطة الحاكمه ، الامر الذي جعلهم على صلة مباشرة بهؤلاء جميعا مما سوف يمكنهم في المستقبل من تطويرها الى علاقات ذات طبيعة سياسية ايضا .

كما انه من الجهة الاخرى اصبح زعماء بني عامر في وضع مادي مكنتهم من كسب ود زعماء القبائل الصغيرة عن طريق العطايا والهدايا لكي يعترف هؤلاء بزعامه بني عامر وعدم التعرض من جانبهم الى طرق القوافل وكل ذلك كان يؤدي الى تزايد الدور الذي يلعبه بنو عامر في حياة بلاد البحرين .

ولعل ما اورده كل من ابن الاثير وابن خلدون يعكس مدى ترايد قوة بني عامر في نهاية القرن السادس/الثاني عشر فقد ذكر بانه في سنة ٥٨٨/١١٩٢ قام بنو عامر بقيادة زعيمهم عميره (بن سنان بن عقيله بن شبانه) بمهاجمة البصرة ونهبها ، وعندما تقدمت قبيلتا خفاجه والمنتفق لصددهم تمكنت عامر من هزيمتهم ، وقد تكرر هذا الهجوم عام ٥٩٢ / ١١٩٦ - ٩٧ ان هذه الهجمات يمكن اعتبارها من بعض الوجوه مؤشرا على ضعف العيونيين الذين كان قد اوكل اليهم الخليفة الناصر لدين الله حماية ارياف البصرة وطريق الحاج (٣٦)٠ . لقد اشرنا فيما سبق عند الحديث عن سمات البيئه في بلاد البحرين

الى ان البدو يأخذون بالتغلغل التدريجي في مناطق الاستقرار في ظل ظروف معينة، وكما اوضح كوبر فان اي شيء يضعف الحكومة في مناطق الاستقرار ينتج عنه تغلغل البداه (٣٧) ومن بين الذين يستقرون منهم بعض افراد الاسر التي تتزعم القبائل ، الا انهم يحافظون على صلتهم بقبايلهم ، وبحكم استقرارهم يكونون على صلة بالزعامات المؤثرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في مناطق الاستقرار وبما يدور بينهم من منافسات وصراعات فينجرون الى الاشتراك بها بطريقة او اخرى مرتكزين في قوتهم على قبائلهم .

وتنطبق هذه الصورة بوضوح على بني عامر منذ النصف الثاني من القرن السادس خصوصا بعد ان اصبحوا يشكلون جزء اساسيا من سكان البحرين ، وكانوا القوة التي ارتكز عليها الحكام العيونيون في المحافظة على مناطق الاستقرار وطرق القوافل من هجمات البدو .

ولقد ازداد ارتباط بني عامر بالاسره العيونيه الحاكمه بالبحرين وذلك عن طريق المصاهرة التي من الواضح ان دوافعها كانت سياسية (٣٨) . فازداد اتصالهم بالحكام العيونيين واشتركوا في الصراعات التي كانت تدور فيما بينهم فكانوا يمنحون تأييدهم الى هذا الحاكم او ذلك بحسب مصالحهم . ومما هو جدير بالملاحظة هنا ان بني عامر اخذت تظهر بين افخاذهم زعامات متعددة وينتسب كل فخذ الى زعيمه فهناك الشبانان نسبة الى زعيمهم شبانه والقديمات نسبة الى زعيمهم قديمه والغفيلات او العقيلات نسبة الى زعيمهم غفيلة او عقيلة وكل فخذ اواكثر كان يمنح ولاءه لزعيم من زعماء العيونيين المتقاسمين حكم البلاد . الا انه من الواضح ان قوة بني عامر الرئيسة كانت تتركز في يداسره عميره بن سنان بن غفيلة . فمصادرها تشير الى ان زعيم بني عامر راشد بن عميره اخذ يلعب دررا هاما في الحياة السياسية (٣٩) . فقد اشترك مع احد افراد الاسرة العيونية الطامح في السلطة المدعو عزيز بن الحسن في اغتيال الحاكم العيوني محمد بن ابي الحسين مقابل حصول راشد على جميع اموال الحاكم الموجودة في القطيف واول بالاضافة الى حصوله على عدد من السفن والاف الدنانير التي سوف تدفع له سنويا .

وقد تم تنفيذ المؤامره وتولى عزيز بن الحسن السلطة (٤٠) . الا ان الفضل ابن القتييل سارع الى الاستعانة بخاله الحسين بن المقداد بن سنان زعيم احد افخاذ بني عامر . كما طلب الفضل المساعدة من الخليفة العباسي الناصر لدين الله (١١٨٠/٥٧٥ - ١٢٢٥/٦٢٢) فانجده بها . ولما نجح الفضل في استلام السلطة قرب اليه قسما كبيرا من بني عامر الذين اخذوا يمارسون نفوذا كبيرا عليه ، فمنحهم ما ارادوا بان اقطعهم البساتين في اوال والعيون الجارية بما تسقيه من النخيل والاراضي وقسم عليهم جميع مناطق صيد الاسماك . كما ملكهم السفن التجارية وسفن الفوص وما فيها من الغاصه ، واخذوا يتوارثون ذلك (٤١) .

وقد اوضح الشاعر ابن المقرب في احدى قصائده بان بني عامر قد أصبحوا يملكون كل شيء ويلبسون الحرير ويركبون الخيول المطهمة ويأكلون احسن الطعام (٤٢) .

ولعل القصيدة التالية لابن المقرب العيوني تعبر اصدق تعبير عن مدى تغفلل بني عامر في الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد البحرين ، وتعكس مدى الخطر الشديد الذي أصبح يهدد المستقبل السياسي لاسره العيونية الحاكمة (٤٣) .

اخذوا الحسا من الكتيب الى محاسن
والخط من صفواء حازوها فما
والبحر فاستولوا على ما فيه من
ومنازل العظماء منكم أصبحت
وامضى شيء للقلوب قطائع
ومهما يكن من امر فإن هذا التغفلل الواسع لبني عامر في المرافق
الاقتصادية للبحرين سوف تنشأ عنه بالتأكيد سيطره سياسية . لان كل سيطره
اقتصادية سوف يعقبها حتما سيطرة سياسية . على ان الذي يجدر بالذكر هنا
هو ان ضعف وتداعي الدولة العيونية في بلاد البحرين ليس منشأه الضغوط
الداخلية فحسب ، بل كانت هناك ضغوط خارجية تعرضوا لها صادرة من
جزيرة قيس التي حلت محل سيراك كمركز تجارى رئيس في الخليج العربي ،
وقد استطاع ملوكها من بني قيصر بعد عدة هجمات على سواحل وجزر
البحرين، في فرض شروط معاهده لم تكن لصالح العيونيين ، اذ أصبح بموجبها
لملوك بني قيصر جزءاً كبيراً من واردات بساتين القطيف والاحساء ومن
واردات مفاصات اللؤلؤ بالبحرين (٤٧) فحرموا بذلك الدولة العيونية من جزء

كبير من وارداتها ، اضافة الى تحكم قيس بتجارة الخليج العربي . وما هو جدير بالاشارة هنا ان وصف ابن المجاور لجزيرة البحرين أوال في حدود هذه الفترة يدل على ازدهار حياتها الاقتصادية ، اذ يقول بأن أهلها شبه البحر في كرمهم وان جزيرة أوال بها ثلثمائة وستين قرية امامية المذهب ماخلا قرية واحدة ، وليس هناك اجود من لؤلؤها (٤٨) .

- ٤ -

قيام امارة العصفوريين العامرية

ان حالة التمزق والتداعي الذي اخذ يهدد امارة العيونيين بالسقوط منذ مطلع القرن السابع / الثالث عشر ، قد اثار كما يبدو حالة قلق واسمه بين اعيان بلاد البحرين ، بعد ان ادركوا تمام الادراك عجز الحكام العيونيين بمهامهم عليه من الضعف عن حماية لأمن ، الامر الذي سوف يعرض اموالهم ومصالحهم التجارية للخطر من قبل بني عامر اذا لم يسارعوا لكسب رضاهم ، فاخذ اغنياء البحرين واعيانها يتسابقون الى ارضاءهم بالاموال والهدايا وقيمون معهم صلات شخصية وثيقة، بل ويتواطون معهم ضد العيونيين، وعلى رأس هؤلاء المتواطئين كان ابراهيم بن عبدالله بن ابي جروان ابرز اعيان الاحساء واثرياؤها . وقد عاتبه على ذلك الشاعر ابن المقرب العيوني المعاصر للاحداث بقصيده جاء فيها :

اتراك ترضى ان يحدث جاهل وا عالم من نازح او دان
فيقول كان خراب دار ربيع بعد العمار بنوابي جروان(٤٩)
يأبى لك الطبع الكريم ونخوة عربية شهدت بها الثقلان

وقد تطور الامر اخيرا الى اتفاق معظم اعيان الاحساء ووجوها على تسليم السلطة في البلاد الى زعيم بني عامر المحنك الشيخ عصفور بن راشد بن عميره ، فاتصلوا به واتفقوا معه على خطة يقوم بموجبها بمحاصرة الاحساء على يقوموا هم بدور هم بغدلان الحاكم العيوني الامير الفضل بن محمد بن مسعود واقناعه بعدم جدوى مقاتلة بني عامر بل عليه ان يسترضيهم وان يفتح لهم ابواب اسوار الاحساء . وفي حالة نجاح هذه الخطة فقد اشترط زعماء الاحساء على الشيخ عصفور بان يكتفي بالاستيلاء على املاك الاسره العيونيه جيمعها وان لايتعرض لغيرها من الممتلكات .

وقد تم تنفيذ الخطة بنجاح وقبض الامير عصفور على الامير العيوني الفضل بن محمد وطرده من الاحساء بعد ان كان قد استولى على كافة امواله واموال اسرته وكف عن اموال الاخرين (٥٠) وهكذا تم لبني عامر الاستيلاء

على السلطة في الاحساء وانهاء حكم الاسره العيونية فيها وبذلك استطاعوا ان يحققوا الخطوة الاولى والاهم لكي يتموا سيطرتهم على كافة بلاد البحرين على ان مصادرنا لاتسعدنا تاريخ محدد لاستيلاء الامير عصفور بن راشد بن عميره العامري على السلطة في الاحساء ، لكن الشيخ محمد بن عبدالله العبد القادر الذي الف كتابا في تاريخ الاحساء قد ذكر بأن ذلك قد تم في العقد الرابع من القرن السابع (٥١) . ومن الواضح كما سوف نرى بان هذا التاريخ الذي حدده الشيخ العبدالقادر قد قصد به تاريخ استيلاء العصفوريين على كافة بلاد البحرين . والذي نميل اليه ان ذلك قد تم على فترات وان تاريخ استيلاء الشيخ عصفور على الاحساء هو في حدود العقد الثاني من القرن السابع/العقد الثاني من القرن الثالث عشر ولقد استندنا في تقرير ذلك الى قائمة الحكام العيونييين ومدة حكمهم في كل من الاحساء والقطيف وأوال والتي اوردها صاحب المخطوطة التيمورية والذي كان معاصر للاحداث كما يفهم من اشاراته (٥٢) .

بعد ان استولى الامير عصفور بن راشد بن عميره بن سنان على واحات الاحساء ، اصبحت تواجه امارته الفتية مسؤوليات متعددة ، وأهمها هي اولا حمايتها من الاخطار المحتملة من بقايا الأمانة العيونية في كل من واحات القطيف وجزيرة أوال وثانيا الخطر المنبعث من مملكة جزيرة قيس التي تملك اسطولا بحريا وتجاريا قويا يتحكم بتجارة وسيادة الخليج العربي ، واذا كان من الصعب حسم العداء ما بين بني عامر والعيونيين الا عن طريق القوة ، الا انه من الممكن جدا اقامة علاقات حسنة مع بني قيصر ملوك جزيرة قيس خصوصا فيما اذا اعترف لهم بحقوقهم في جزء من واردات بساتين الأحساء التي كانت قد ضمنتها لهم المعاهدة المعقودة سابقا بينهم وبين حاكم الدولة العيونية الامير الفضل الذي كان قد اطاح بحكمه العصفوريون . واذا ماتحقق ذلك فان الامارة العصفورية الناشئة سوف تستطيع المحافظة على منفذها التجاري على الخليج وهو ميناء العقير الذي لا يمكن لها الاستغناء عنه في تجارتها ما بين داخل الجزيرة العربية والعالم الخارجي . كما انه من الجهة الاخرى ربما سوف يتمكن الامير عصفور بن راشد من تحييد بني قيصر فيما لو حاول الاستيلاء على بقايا ممتلكات العيونييين .

ومن المرجح جدا ان مثل هذه العلاقة الحسنة ما بين الطرفين قد تحققت كما يفهم من كلام ابن المجاور (ت ٦٩٠ / ١٢٩١) (٥٣) ، وكما يستدل من وصف المؤرخ الثماني احمد منجم باشي (ت ١٧٠٢ / ١١١٣) (٥٤) للامير عصفور انه مقدم امراء الملك جمشيد ملك جزيرة قيس (٥٥) . فهذا الوصف للامير عصفور بن راشد يحمل في طياته دلالات معينة هي وجود

علاقة حسنة بين الطرفين ، ومهما يكن من امر فإن منطق الامور يقودنا الى مثل هذا الاحتمال ، اذ ان ملوك بنو قيصر بالاضافة الى انهم سوف يضمنون حقوقهم في جزء من واردات الاحساء فان قسوة الامير عصفور هي احد الضمانات المهمة لاستمرار حصولهم على جزء من واردات آوال والقطيف من العيونييين ، اذ يمكن استخدام هذه القوة للضغط من الداخل على العيونييين في سبيل هذا الهدف .

ومهما يكن من امر فانا نجهل بشكل دقيق الكيفية التي تم بها انتقال القطيف الى حكم بني عامر ، وكل ما نعرفه ان صاحب المخطوطة التيمورية قد ذكر بان اخر حاكم عيوني هو الامير محمد بن محمد بن ابي ماجد كان قد غادر القطيف في حدود عام ١٢٣١/٦٣٠ - ٣٢ او قبلها بقليل وان حكمه قد اقتصر بعدها على جزيرة آوال (٥٦) . اما وصاف الحضرة (ت ١٣٣٤/٧٣٥ - ٣٥) فإنه كان اكثر وضوحا عن مصير القطيف بعد مغادرة الحاكم العيوني الامير محمد بن محمد لها فحين تعرضه للحديث عن استيلاء الاتابك ابو بكر السلفري على جزيرة آوال قال بان القطيف كان يحكمها انذاك اقوى شيوخ العرب واوسمهم نفوذا هو ابو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو [عميره] بن سنان (٥٧) . ومما لاشك فيه بأن ابا عاصم هذا ما هو الا احد زعماء بني عامر وقرىب الصلة بالأمير عصفور . والسؤال الذي قد يثار هو كيف استولى العصفوريون على السلطة في القطيف وهل ان ابا عاصم بن سرحان كان يحكم القطيف نائبا عن قريبه الشيخ عصفور بن راشد ام انه كان مستقلا عنه تمام الاستقلال ؟ والذي نميل اليه هو ان الصلة وثيقة بين الاثنين وان الامير عصفور كانت زعامته معترف بها بين كافة افخاذ بني عامر ، ونستدل على ذلك من الاحداث التي سوف تتلو مقتل الامير ابا عاصم حيث ان الشيخ عصفور اخذ يحكم القطيف مثلها مثل باقي بلاد البحرين من دون ان تثور في وجهه معارضة قبلية . من الواضح اذا انه في حدود نهاية العقد الثالث / من القرن السابع/ الثالث عشر تمكن بنو عامر من بسط سيطرتهم على معظم بلاد البحرين باستثناء جزيرة آوال كما ان سيطرتهم قد امتدت الى اليمامة وعمان ايضا .

قال ابن سعيد المغربي الذي كان قد زار المشرق العربي مرتين ، الاولى بين عامي ٦٤٨ - ١٢٤٥/٦٥٢ - ١٢٥٤ والثانية عام ١٢٦٧/٦٦٦ وهو يصف بلاد البحرين بان « بين القطيف واليمامة مجالات بني عامر ولم

يبقى معهم لاحد من العرب عز في بلاد اليمامة والبحرين ، ومنهم الان ملوك الصقعين » . ثم وصف بني عامر في موضع آخر فقال بأنهم عرب اليمامة والبحرين (٥٨) .

والواقع فان الروايات عن نفوذ بني عامر في القرن السابع/الثالث عشر والتي ترد عند ابن فضل الله العمري وابن خلدون والقلقشندي كلها منقولة عن ابن سميع المغربي وهي تتشابه الى حد كبير لفظاً ومعنى . فهم ينقلون قوله سألت اهل البحرين في سنة ١٢٥٤/٦٥١ حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا « الملك فيها لبني عامر بن عقيل ، وعصفور وبنوه هم اصحاب الاحساء دار ملكهم » . (٥٩)

كما ترد رواية عن ابن سميع المغربي تتعلق بنفسوذ بني عصفور في اليمامة فهو يقول « سألت عرب البحرين لمن اليمامة اليوم ؟ فقالوا العرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفه بها ذكر » (٦٠) .

ولعل النص التالي الذي يروى عن ابن سميع هو اكثر وضوحاً ، فعند حديثه عن بني عامر قال « وملكوا ارض اليمامة من بني كلاب ، وكان ملكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة عصفور وبنوه » (٦١) . ومما هو جدير بالذكر ان ابن خلدون ينفرد بالقول بان بني عصفور قد غلبوا ايضا على عمان . (٦٢) .

- ٥ -

علاقة امارة العصفوريين بالسلفريين (اتابكة فارس)

قبل التعرض لعلاقة العصفوريين باتابكة فارس من السلفريين ، يجدر بنا ان نثبت ملاحظتين هامتين تتعلقان بمجمل الاوضاع العامة في الخليج العربي في الربع الثاني من القرن السابع / الثالث عشر .

فالملاحظة الاولى هي ان بلاد فارس اخذت تتعرض في هذه الفترة لهجمات الخوارزميين الذين كانوا قد غادروا بلادهم على اثر الهزائم القاسية التي الحقها بهم المغول . ثم مالبث ان ظهر خطر المغول بعد اختفاء الخوارزميين عن المسرح بقليل فانتشرت هجماتهم في رقعة واسعة من ايران . وقد ولدت هذه الهجمات المتكررة تخريبات واسعة واضطراباً في الحياة السياسية والاقتصادية والامنية في ايران ووصل اثره الى مياه الخليج العربي وسواحه الشرقية . وفي مثل هذا الجو من الخوف والهلع يمكن لنا ان نتصور اندفاع سيل من المهاجرين نحو المناطق الاكثر أمناً من الخليج . ولما كانت الجزر والشواطئ العربية بعيدة نسبياً عن مراكز الخطر فهي اكثر أمناً ، لذا فان قسماً من

المهاجرين كان لابد له ان يندفع للاستقرار فيها واذا ماتوقعنا ان نسبة مهمة من المهاجرين كانوا من التجار والاثرياء الذين هم من اكثر الطبقات شعوراً بالخوف فأننا نستطيع ان نقول بان امارة المصفوريين قد تميزت مركزها الاقتصادي والسياسي باستقبالها لمثل هؤلاء المهاجرين .

والملاحظة الثانية هي ان الامارة العيونية التي اصبحت ممتلكاتها قاصرة على القطيف وجزيرة آوال ثم بعد ذلك على جزيرة آوال فقط كانت تعاني ضعفاً شديداً في الوقت الذي كان تحت سلطانتها اثنان ثروة في الخليج وهي مفاصة اللؤلؤ ومثل ذلك يمكن ان يقال عن ملوك جزيرة قيس من بني قيصر .

ان مجمل هذه الاوضاع في الخليج العربي كان لابد ان تحرك الزعماء الطموحين للاستفادة منها في الحصول على افضل غنيمة . وكان اسبق هؤلاء امير هرموز سيف الدين ابو النظر ، اذ استطاع في جمادى الاخرة عام ٦٢٦ / مايس ١٢٢٩ الاستيلاء على جزيرة قيس بعد ان تمكن من قتل الملك سلطان قوام الدين آخر ملوك بني قيصر . وبذلك انتهى حكم هذه الاسرة في جزيرة قيس (٦٢) . وبعد ان تم لامير هرموز ذلك ارسل نوابه الى جزيرة البحرين حيث طالبوا حاكمها العيوني الامير منصور بن علي بان يدفع لهم من واردات البحرين مثلما كان يدفعه لبني قيصر على اعتبار ان امير هرموز اصبح الوارث لكافة ممتلكات وحقوق ملوك قيس بعد ان ادخل قاعدتهم الرئيسية تحت سلطانه . وقد اضطر الامير العيوني على الاقرار لامير هرموز بهذه الحقوق (٦٤) .

الا انه بعد وفاة اتابك فارس الامير سعد بن زنكي بن سنقر بن مودود السلفري عام ٦٢٨/٢٣٠/٣١ خلفه في الملك ابنه ابو بكر (٦٢٨/١٢٣٠ - ٦٥٨/١٢٦٠) فثار نزاع بينه وبين امير هرموز سيف الدين ابو النظر ، ويعمل لنا زكريا القزويني سبب ذلك بأن سكان جزيرة قيس وبسبب ظلم امير هرموز لهم قد استغاثوا بأبي بكر السلفري في حين ان غفاري القزويني (ت ٩٧٥/١٥٦٧-٦٨) ومنجم باشيء يعلنان اسباب هذا النزاع بخروج امير هرموز عن فروض الطاعة والخضوع التي كان يؤديها سابقا للسلفريين وذلك بعد وفاة اتابك سعد ، مما حمل الامير الاتابك ابو بكر على ان يحشد ضده جيشا كبير مستعينا باصحاب السفن من اتباع بني قيصر والذين لابد ان يكون القسم الاكبر منهم من العرب ، وقد استطاع ابو بكر في محرم ٦٢٨/تشرين الثاني ١٢٣٠ انتزاع جزيرة قيس من امير هرموز ، وبعد ذلك سعى ابو بكر لان ييسط نفوذه على كافة المناطق التي كان لبني قيصر نفوذا عليها فقام بارسال عماله الى جزيرة آوال ليطالبوا حاكمها العيوني بأن

يدفع له مثل ما كان يدفعه لبني قيصر سابقا ولا مير هرموز لاحقا ، ولكن الاموال التي تجبا في هذه المرة كانت تتم باسم حقوق الخلافة العباسية في بغداد وان ابا بكر نائب عنه وقد خضع الامير العيوني لهذه المطالب . ومما يجدر ذكره هنا ان صاحب المخطوطة التيمورية كان من بين موظفي الاتابك الذين كانوا يتولون الاشراف على جباية حقوقه في جزيرة اوال (٦٥) .

على ان الاتابك ابا بكر السلفري لم يكتف بما حصل عليه من العيونيين بل تطلعت نفسه للسيطرة المباشرة على جزيرة اوال ، وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع في خطته هذه من الامير عصفور بن راشد ، فارسل ضدها حملتين بحريتين احدهما عام ١٢٣٢/٦٣٠ - ٣٣ والثانية عام ١٢٣٥/٦٣٣ - ٣٦ الا ان الامير العيوني محمد بن محمد بن ابي ماجد الذي خلف منصور بن علي في الحكم قد استطاع ببسالة صد هاتين الحملتين (٦٦) .
اننا نميل الى الاعتقاد انه في حدود هذه الفترات بالذات قام بنو عامر بالاستيلاء على القطيف مستغلين الظروف الصعبة التي اخذت تمر بها الامارة العيونية وهي تواجه اطماع السلفريين .

ومهما يكن من امر فان الاتابك ابا بكر قد اعد حملة بحرية كبيرة عام ١٢٣٨/٦٣٦ - ٣٩ اشترك فيها عدد كبير من العرب استطاع من خلالها الاستيلاء على جزيرة اوال وقتل آخر حكام العيونيين الامير محمد بن ابي ماجد ثم نهبت امواله واموال اسرته وتعرضوا لتنكيل شديد وبذلك يكون حكم العيونيين قد زال من جميع بلاد البحرين وان الامر الجدير بالانتباه هنا ان وصاف الحضرة قد سكت تماما عن الحملات الفاشلة التي قادها ابو بكر ضد عرب البحرين كما أنه حدد ذا الحجة من عام ١٢٣٣/آب ١٢٣٥ كتاريخ الاستيلاء ابي بكر على جزيرة اوال ، وعنه اخذ هذا التاريخ جميع الكتاب المعاصرين الذين قد اشاروا لي هذه الواقعة . ان سبب متابعتهم لوصاف يعود الى عدم اطلاعهم على ما اورده صاحب المخطوطة التيمورية بخصوص هذه الوقائع والتواريخ التي ذكرناها . لقد رجحنا اقوال الاخير لانه معاصر للاحداث بل في موقع الاحداث ، فهو احد الموظفين الذين عملوا في جزيرة اوال في خدمة ابي بكر السلفري (٦٧) . في حين ان وصاف قد الف كتابه سنة ١٣٢٨/٧٢٨ اى بعد حوالي القرن من وقوع هذه الاحداث . ويمطينا وصاف بعض المعلومات المفيدة عن علاقة اتابكة فارس بالخلافة العباسية حيث قال بانه بعد الاستيلاء على اوال والتي يسمونها البحرين ثبتت في ديوان الخليفة المتعصم بالله ، وفي كل سنة يكتب دخلها وخراجها ويرسل به الى بغداد مع معتمد الخليفة في اوال ثم يضيف القول ايضا بان الاتابك ابو بكر السلفري بعد ان انتهى مباشرة من اوال اعترم الاستيلاء على

القطيف ، الا ان مناعة تحصيناتها وقوة العرب الذين يحكمونها وكثرة عددهم جعلته يؤجل تنفيذ هذه الخطة لحين استكمال الاستعدادات الضرورية لمثل هذه الحملة (٦٨) . الا انه من المحتمل ان لهذا التردد والتأجيل علاقة بالأخطار التي اخذت تهدد بلاده في هذه الفترة من قبل المغول ، بعد ان اخذت هجماتهم تنتشر في مناطق عديدة من ايران ، على الرغم من انه - وكما يذكر الجويني كان قد سبق له ان ارسل اخاة تهمتن وهو يحمل هدايا ثمينه (٦٩) . الى اوكتاي (ت ٦٣٩ / ١٢٤١) الذي تسولى حكم المغول بعد وفاة جنكيزخان . ومن الواضح ان الاتابك كان بذلك يحاول استرضاء المغول لتعاشي خطرهم عن بلاده .

بعد مرور اكثر من خمسة سنوات على استيلاء الاتابك ابي بكر السلفري على جزيرة اوال ، سنحت له الفرصة ، كما يبدو ، لاحتلال بعض موانئ ساحل بلاد البحرين ، ففي ربيع عام ٦٤١ / ربيع ١٣٤٤ جرد حملة كبيرة استطاع بها الاستيلاء على قلعة جزيرة تاروت ، وقتل اكبر شيوخ بني عامر فيها وهو ابو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو [عميرة] بن سنان ، والذي كان كما يبدو حاكما لمنطقة القطيف . اذ أنوصاف قد نعته بأنه كان «من وجوه العرب ومشايخهم ومن ارباب المجد الشامخ والكرم الباذخ » (٧٠) . وكننتجة للانتصار الذي احرزه الاتابك في معركة تاروت استطاع الاستيلاء على مدينة القطيف وواحاتها . كانت خطة الاتابك ترمي الى حكم هذه المناطق حكما مباشرا ، فوضع لهذا الغرض حاميات عسكرية فيها . الا ان وجود هذه القوات الاجنبية قد اثار غضب واستياء بني عصفور ، فأخذوا يشنون الهجمات المتكررة ويضايقونها الامر الذي حمل الاتابك ابوبكر على ان يقوم باستبدال هذه الحاميات كل سنة بغيرها ، ويزيد من دعمها وتقويتها . لكن ذلك كما يبدو لم يخفف الضغط على قواته ومن ازمته وابعائها المالية ، لذا فقد لجأ الى استرضاء العصفوريين بأن اخذ يدفع لشيخوهم اتاوه سنوية مقدارها اثنا عشر ألف دينار مصرى ، على ان يكون وقت دفع هذا المبلغ عند جني محصول نخيل واحات القطيف وفي مقابل ذلك يكف العصفوريون عن التعرض للادارة السلفرية .

ولقد كان بنو عصفور وفي احايين كثيرة يلجأون الى التهديد باستعمال القوة كلما شعروا بوجوه تلكوء ، من قبل السلفريين في دفع هذه الاتاوة بل ان شيوخ بنو عصفور كما يبدو لم يكتفوا بمبلغ الاتاوة السنوية المقررة لهم . اذا يروي لنا وصاف حكاية تمكس بعض متاعب الادارة السلفرية وهو ينقل ما يرويه عن احد موظفي الاتابك الذين كانوا يعملون في جباية الرسوم في ميناء القطيف .

ومفادها انه في بعض الاحيان يقوم بعض الشيوخ بأرسال احد اتباعه الى موظفي الاتابك في ميناء القطيف يطالبهم بأن يدفعوا له مبلغا من المال مع بعض السلع ، وعندما يظهر هؤلاء الموظفون تملكوا في دفع ما يطلب منهم ، يتم ارغامهم على الدفع عن طريق التهديد باستعمال القوة ضدهم ويضيف وصاف الى ذلك القول بأن عرب البحرين كانوا ينظرون الى مايدفع لهم من اتاوة ، كحق من حقوقهم الثابتة ، وانها بمثابة الفدية لقاء قبولهم ببقاء الاتابكة في بلادهم .

في ضوء التجربة الصعبة التي مرت بها الادارة السلفرية في بعض اجزاء بلاد البحرين والتي استمرت لمدة تزيد على العشر سنوات ، ونتيجة للاخطار الخارجية التي اخذت تهدد دولتهم ، وبغية التخلص من بعض هذه الاعباء والاستعداد لمواجهة اخطار محتملة تكون اشد من سابقتها ، قام الامير ابوبكر بن سعد السلفري بتسليم السلطة في بلاد البحرين للعصفوريين مقابل قيامهم بدفع مبالغ معينة من الاموال سنويا الى خزانة الاتابكة في فارس . وقد اورد وصاف ذكر زعيم بني عامر اللذين تم تسليم السلطة اليهما . وهما عصفور بن راشد بن عميرة ومانع بن علي بن ماجد بن عميرة ، كما انه اورد ذكر تسليم القطيف اليهما وسكت عن ذكر جزيرة آوال في حين اننا نجد ان كلا من القاضي احمد غفاري ومنجم باشي قد ذكر اسم الامير عصفور بن راشد فقط . اما المناطق التي كانت قد سلمت اليه ، فعندهما انها قد شملت كلا من القطيف والبحرين وعمان (صغار) والحسا (٧١) . ومعنى ذلك سلطة امارة عصفور العامرية قد اخذت تشمل على كافة بلاد البحرين بما فيها آوال ، اضافة الى اجزاء من نجد (اليمامة) ومن عمان . ومما يجدر ذكره هنا ان اسم عمان كان قد ذكرها ابن حلدون ايضا كجزء من ممتلكات امارة العصفوريين (٧٢) . وان مؤلفات العصر الوسيط كثيرا ما تطلق عبارة عمان لتعني بها ميناء صغار . لذا فمن المرجح انه قد استعمل هنا بهذا المعنى . ان التاريخ الذي اعطاه وصاف لاستقلال بني عامر بالسلطة في كافة بلاد البحرين هو عام ١٢٥٦/٦٥٤ ، وهذا التاريخ يتعارض بعض التعارض مع مارواه ابن سعيد المغربي - والذي سبق الاشارة اليه - من ان السلطة في بلاد البحرين كانت في عام ٦٥١ لعصفور وبنيه وان قاعدة ملكهم هي الحسا . وللتوفيق بين مارواه كل من وصاف وابن سعيد ، نرى ان هناك احتمالين : فالاحتمال الاول هو ان وصاف ربما لم يكن دقيقاً في هذا التاريخ الذي ذكره حول تسليم السلطة في بلاد البحرين لعصفور بن راشد ، والاحتمال الثاني هو ان رواية ابن سعيد يجب ان تفهم على ان المقصود به ان سلطة الشيخ عصفور كانت تشمل على كافة بادية البحرين ، وان منطقة الاستقرار التي تحت حكمه المباشر هي واحات الحسا فقط ، حيث اتخذ منها قاعدة لنفوذه ، وان عدم اشارة ابن سعيد لكل من جزيرة آوال والقطيف في روايته ،

قد يعني انهما كانتا خارج سلطة الشيخ عصفور . والواقع فإن رواية وصاف حول تسليم القطيف الى الشيخ عصفور تتضمن الاعتراف بأنه صاحب النفوذ الاول في معظم بلاد البحرين .

بقيت نقطة اخيرة يجدر مناقشتها وهي تتعلق بمدى اتساع نفوذ السلفريين في بلاد البحرين . اذ ان كلا من المستوفي القزويني (الف كتابه عام ١٣٤٠/٧٤٠ وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧/١٦٥٧) كانا قد ذكرا بأن ابا بكر قد استولى على الاحساء اضافة الى القطيف واوال (٧٢) في حين ان وصاف الحضرة والذي كان عصره اقرب . لعهد الاتابك ابي بكر من عصرهما ، لم يذكر اسم الحسا ضمن المناطق التي استولى عليها . يضاف الى ذلك ان ابن سعيد المغربي قد ذكر في روايته التي مرت بنا سابقا بأنه في عام ١٢٥٣/٦٥١ - ٥٤ ، كانت الحسا قاعدة نفوذ الشيخ عصفور بن راشد في البحرين ، ومعنى ذلك انها تحت سلطته قبل التاريخ المذكور وقبل التاريخ الذي حدده وصاف لانسحاب السلفريين من بلاد البحرين .

للتوفيق بين هذه النصوص يمكن القول بأن الحسا لم تخضع لحكم الاتابك بشكل مباشر ، وانما بقيت تحت حكم الشيخ عصفور والذي ربما كان يعترف بتبعية اسميه للسلفريين .

ومهما يكن من امر فلا بد لنا ان نشير الى الاسباب المحتملة التي كانت تكمن خلف انسحاب السلفريين من بلاد البحرين في هذه الفترة وتسليمهما الى الامير عصفور بن راشد . اذ لا يمكننا ان نعزو ذلك الى المتاعب العسكرية والمالية التي واجهتهم في حكمها فحسب، بل يمكن ان تعزى الى عوامل لا تقل عنها اهمية وهي : اولاً الزحف المغولي المدمر في داخل الاراضي الايرانية بقيادة هولاكوخان . وثانياً ظهور زعيم طموح في الخليج العربي . وهو محمود بن احمد الكوسي (الكوشي) القلھاتي ، الذي استولى على السلطة في مملكة هرموز التي كانت تشمل على جزء من الساحل الايراني والعسائي واخذ يتطلع الى توسيع دائرة نفوذه واستطاع ان يتحكم بمدخل الخليج العربي ولا بد ان يكون هذا الزعيم قد اثار مخاوف الاتابك ابي بكر من احتمال قيام تعاون بينه وبين العصفوريين ، يكون الهدف منه مواجهة خصمهم المشترك ابي بكر السلفري واذا ما علمنا بأن للعصفوريين اسطولا تجاريا قويا يمكن ان يستخدم ايضا في عمليات عسكرية ، مثلما كان قد سبق للاتابك نفسه ان استعان به في حملاته على جزيرتي قيس واوال ، لادركنا مدى المخاطر المحتملة التي قد تهدد السلفريين من قيام مثل هذا التعاون .

كل هذه الاحتمالات التي سبق الاشارة اليها ربما كانت تكمن خلف سياسة الاتابك ابي بكر الجديدة التي اخذ يتبعها اتجاه بني عامر وزعيمهم

عصفور بن راشد وذلك بفتح صفحة جديدة معهم وتسليمهم السلطة في كافة بلاد البحرين بما فيها جزيرة اوال . وبذلك يكون قد اضعف احتمالات قيام جبهة مشتركة ضده ، كما انه سوف يتمكن من الاستفادة من جنوده الذين كانوا يرابطون في البحرين في مواجهة الخطر المغولي المحتمل .

قبل ان ننهي الحديث عن علاقة السلفريين ببلاد البحرين ، نرى انه من المفيد ان نشير الى النقود السلفرية التي اكتشفتها البعثة الدانماركية في جزيرة البحرين . فقد وجدت قطعة نقدية واحدة مصنوعة من الرصاص ، تعود الى زمن الاتابك ابي بكر الا انه غير واضح عليها مكان الضرب او تاريخية . ويقرر لويك الذي كتب بحثا عن النقود المتداولة في الخليج العربي ، بأن هذه العملة لابد ان تكون قد ضربت في جزيرة البحرين . الا اننا نرى انه مادام الدليل القاطع على مكان ضربها لم يتوفر، فان الامر ليس مؤكدا بل محتملا . خصوصا ونحن قد عرفنا فيها سبق ان البحرين قد استقلت وخرجت من دائرة النفوذ السلفري في عهد ابي بكر . والواقع فان اكتشاف النقود في مكان ما لا يحتم على كل حال ان تكون هذه النقود قد ضربت في المكان الذي اكتشفت فيه . واذا كانت هذه النقود قد ضربت في عهد السيطرة السلفرية على الجزيرة فمن المفروض ان اسم الخليفة العباسي يجب ان يذكر الى جانب الاتابك مادام الاخير يعترف بتبعيته الى الخلافة العباسية . ولما كان اسم الخليفة غير مذكور على هذه العملة . فمن المحتمل جدا انها كانت قد ضربت بعد سقوط بغداد اي بعد زوال السيطرة السلفرية عن الجزيرة . الامر الذي يحملنا على رفض فرضية لويك من ان هذه العملة قد ضربت في جزيرة البحرين .

لقد اكتشفت ايضا في جزيرة البحرين نقود مصنوعة من النحاس وهي تحمل اسم أبش خاتون بنت الاتابك سعد بن ابي بكر السلفري (١٢٦٤ - ١٢٨٦) ، وهي اخر حكام السلفريين ، وكان قد تزوج بها منكوتيمور وهو الابن الحادى عشر . لهولاكوخان . كما وجدت ايضا عمله برونزية تعود الى السلفريين ، وهي لاتحمل تاريخا ولا اسم الحاكم الذى ضربت بأسمه .

ومهما يكن من امر فان اكتشاف هذه النقود في جزيرة البحرين ، يدل على وجود صلات كثيرة وربما سياسية ايضا ما بين اماراة العصفوريين وبلاد فارس (٧٤) .

- ٦ -

علاقة اماراة العصفوريين بممالك مصر ومغول العراق وايران
بتدمير المغول لمركز الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨/٦٥٦ ، ثم

سيطرتهم على معظم اجزاء ايران والاناطول تكون الحضارة العربية الاسلامية عموما ، والمشرق العربي خصوصا قد دخلا مرحلة جديدة وحرجة للغاية ولفترة طويلة نسبيا . فقد كان من نتائج هذا الاحتلال المغولي ان تغيرت الخارطة السياسية لمنطقة واسعة من العالم الاسلامي ، اذ اختفت كيانات سياسية تماما ، وبرزت كيانات سياسية جديدة ومن هذه الكيانات السياسية التي ظهرت وقدر لها تلعب دورا مهما جدا في تاريخ المشرق العربي ، دولة المماليك في مصر . وقد برزت اهميتها السياسية والعسكرية بسرعة بعد نجاحها في سحق الهجوم المغولي على بلاد الشام في معركة عين جالوت عام ١٢٥٨/٦٥٨ ، ثم نجاحها في توحيد سوريا ومصر في دولة واحدة ، مثلما كانتا في معظم الفترات التاريخية السابقة . كذلك في استمرار تصديها للخطر المغولي ، وتولي دور القيادة في هذا السبيل .

ان تجاور هاتين الدولتين - دولة المغول الأيلخانيين في ايران والعراق ودولة المماليك في مصر والشام - وتصدى احدهما للآخرى ، ادى الى ان يقوم بينهما صراع عسكري وسياسي وثقافي واقتصادي لفترة طويلة ، مما دفع كل منهما لكسب الانصار والحلفاء وحشدهما لمواجهة الطرف الاخر .

ان احدى القوى المهمة التي توسل كل طرف لكسبها الى جانبه وزجها في الصراع الدائر بينهما ، هي القوى القبلية ، وذلك لما تتمتع به هذه القوى من أهمية عسكرية واقتصادية ، اذ كانت مساكنها تتأخم ارياف العراق والشام وتتحكم بطرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج ومن هذا الموقع يكون بإمكانها ان تقدم خدمة عسكرية واقتصادية لاحد الجانبين او كلاهما . وقد يكون العكس اذ قد تلحق ضررا لاحدهما او كلاهما . ومن ابرز هذه القوى القبلية ، الـ فضل الذين كانوا يسيطرون زعامتهم على قبائل طي القويصة اضافة الى قبائل كثيرة كانت منضوية تحت لوائهم ، فنفوذهم كان يمتد على بوادي الشام واجزاء واسعة من البوادي الغربية للعراق وكذلك على اجزاء من نجد (٧٥) .

ومن القوى القبلية المهمة ايضا قبيلتي عبادة وخفاجة اصحاب النفوذ الواسع في معظم غرب ووسط وجنوب العراق . ثم اخيرا قبيلة بني عامر والتي تبسط نفوذها في المنطقة الممتدة من جنوب البصرة حتى عمان الشمالي ، ثم يمتد غربا الى اجزاء من نجد .

ان الدارس لموقف هذه القوى القبلية من القوتين الكبيرتين المتصارعتين ، يلاحظ انها كانت متقلبة في ولائها نحوهما وذلك تبعا لطروفها وماتامل الحصول عليه من منافع من كل منهما . فهدف القبائل الذي يهمها قبل كل شيء

الحصول على اكبر قدر ممكن من المغنم . الا ان المماليك كانوا في معظم الاحيان هم الفائزون بولاء هذه القبائل . ومهما يكن من امر فأننا معنيين بالدرجة الاولى بمتابعة علاقة العصفوريين بهذه القوى ، وحديثنا سوف يقتصر عليهم بقدر ماتسعفنا به المصادر .

وقبل كل شيء يجب القول ان المصادر لاتسعفنا لكي نقرر بدقة الموقف الذى اتخذه العصفوريون . من ظهور النفوذ المغولي في كل من ايران والعراق، بالرغم من اننا نميل الى الافتراض بأن العصفوريين لم يأسفوا كثيرا لزوال دولة بني العباس وسبب هذا الافتراض ان العباسيين قد كانوا سندا قويا للمعنيين الذين كانوا يعترفون بتبعيةهم للخلافة العباسية، ولا بد ان زوال الامارة العيونية على يد الشيخ عصفور قد ادى الى توتر علاقتهم بالعباسيين ، ولعل ذلك خلق خشية لدى بني عصفور من احتمال انتقام العباسيين ، هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فان الخصم الاخر للعصفوريين وهم السلفريين الذين كانوا قد فرضوا سيطرتهم لفترة محدودة على اجزاء هامة من بلاد البحرين - هم ايضا اتباع للعباسيين ويعترفون بسيادتهم ، وكانوا قد فرضوا نفوذهم على الخليج باسم الخلافة العباسية . فالغزو المغولي فضلا عن كونه قد ازال خطر العباسيين عن بني عصفور ، فانه ايضا قد ادى الى اضعاف نفوذ السلفريين في الخليج الى حد كبير . الامر الذي ربما ادى الى شعور بني عصفور بنوع من الارتياح ، رغم الاخطار المحتملة على بلادهم من قبل المغول . هذا وكنا قد افترضنا سابقا بأن اماراة العصفوريين ربما تعمزز مركزها الاقتصادي والسياسي بتقاطر سيل المهاجرين من العراق وايران خصوصا من طبقة التجار واصحاب الاموال الهاربين فزعا من الخطر المغولي المحيق بهم ، وربما تعمزز هذا المركز اكثر بظهور الصراع المغولي المملوكي .

على ان الامر الذى لا لبس فيه ، هو نشوء علاقة جيدة مابين بني عصفور وسلطنة المماليك في مصر . فالقلقشندى ينقل عن الحمداني المعاصر لما يرويه قوله ، بان بني عامر قد (وفدوا على السلطان بالديار المصرية في دولة الظاهر بيبرس (١٢٥٩/٦٥٨ - ١٢٧٧/٦٧٦) ، صعبة مقدمهم محمد بن احمد بن العقدي [العقدي] بن سنان بن غفيلة [عقيلة] بن شبانه بن عامر ، وعوملوا بأتم الاكرام وافيض عليهم سابغ الانعام، ولحظوا بعين الاعتناء (٢٦) على انه لدينا مايدل على ان هذه العلاقة الحسنة قد اصابها بعض الفتور بعد وفاة السلطان بيبرس فبتجدد الصراع على نطاق واسع وفي كافة الميادين بين المغول والمماليك قام ال فضل وآل مرا حلفاء المماليك بمهاجمة عرب البحرين عام ١٢٨٥/٦٨٤ - مثلما هاجموا المغول - ونهبوا اموالهم وقتلوا عددا من رجالهم وكان من بينهم احد زعمائهم المدعو علي بن ماجد (٢٧) . ان هذا الهجوم على

بني عصفور ربما كان قد تم بتوجيه من الممالك لانهم كانوا قد حالفوا المغول .
على ان تطور الاحداث كان قد ارغم الطرفين على اعادة توثيق علاقتهم .
فالمغول كانوا قد سعوا لا للتحكم بطرق التجارة البرية عبر اوراسيا فحسب ، بل
كانوا راغبين بالسيطرة ايضا على الطرق البحرية الرئيسية التي تربط البحر
الاحمر والبحر العربي والخليج العربي بالصين والهند (٧٨) ، فقد ارسل
الايلخان ارغون ، البوذي المتعصب (١٢٨٤-٩١) في عام ٦٨٩/١٢٩٠ يطلب
مجيء مائتين من الجنوبيين الى بغداد على ان يجرا في نهر دجلة هذا وقد صادف
في الوقت ذاته وجود سبعمائة شخص من الفرنك (من اطني غربي اوربا في
بغداد ، وصلوها عن طريق البحر ، معتمزين قضاء فصل الشتاء فيها . فماكان
من الايلخان ارغون الا ان طلب منهم صنع سفينتين من نوع قادрге (غراب)

Galley ، والتي هي من السفن التي تسير بالاشرعة والمجاديف ، وتستعمل
للاغراض التجارية والحربية . ويمكن لكل سفينة من هذه السفن ان تحمل
ما بين ١٠٠ - ١٢٠٠ شخص ، اما طولها فيتراوح ما بين ١٠٠ الى ٢٠٠ قدم .
وكان هدف الايلخان من صنع هذه السفن ، هو لتسييرها في الخليج العربي
والبحر العربي لمرقلة المواصلات التجارية ما بين الهند ومصر . الا ان هذه
الخطة لم يكتب لها النجاح نظرا للنزاع الذي ثار بين الجنوبيين من بحارة
السفينتين ، فانقسموا الى فئتين متناحرتين ، الامر الذي ادى الى استحالة
استمرار ابحار السفينتين وتنفيذ الخطة المرسومة (٧٩) لهما .

ومن الطبيعي ان يدرك سلاطين الممالك مسدى الاخطار التي تتهدد
تجارتهم من جانب المغول ، فيراقبوا هذا النشاط ويعملوا على التصدي له
وافشاله . فالسلطان قلاوون كان قد ارسل عام ٦٨٢/١٢٨٣ وكذلك
عام ٦٨٧/١٢٨٨ برسائل الى التجار في الهند والسند والصين وسيلان
واليمن ، يدعوهم فيها للقدوم بتجارتهم الى مصر والشام ويعددهم بحسن
المعاملة (٨٠) .

لقد كان الصراع - كما اسلفنا - ما بين المغول والممالك يتخذ اشكالا
مختلفة ويتقع على محاور متعددة ، ولم يترك اى طرف فرصة لضرب الطرف
الآخر واضعافه الا اهتبلها . فابو الفدا (ت ٧٣٢) المؤرخ المعاصر للاحداث
يذكر بانه عندما طرد الشريف حميضة بن ابي نمى من امارة مكة ولجأ الى
السلطان المغولي او لجايو خدا بنده محمد بن ارغون (٧٠٣/١٣٠٤ -
٧١٦/١٣١٦) في بغداد واستنجد به لاعادته الى ملكه ومبديا استعدادده
في مقابل المساعدة التي تقدم اليه لان يعلن تبعية مكة لسلطنة المغول في
العراق وايران . فما كان من السلطان خدا بنده محمد الا ان رحب بذلك

معتبرا اياها فرصة ثمينة لتوجيه ضربة موجعة لهيبة وسمعة سلاطين الماليك في العالم الاسلامي وان يحل المغول محلهم في هذا النفوذ . وعليه فقد جهز السلطان خدابنده عام ٧١٦/١٣١٦ الشريف حميضة بقوة تتألف من عشرة الاف مقاتل من المغول والعرب واسندت قيادتها الى الامير طالب الدلقندي الحسيني نائب المغول في البصرة . وقد سارت الحملة الى مكة سالكة الطريق عبر بلاد البحرين . ان سلوك هذه القوة عن هذا الطريق ليعكس اطمئنان المغول من عدم تعرضها لهجوم قبائل بني عامر . والواقع فان بلاد البحرين في هذه الفترة كانت قد اصبحت تدين بالتبعية لاسرة الطيبين العربية والتي كانت تحكم اقليم فارس ومعظم جزر وسواحل الخليج العربي . وكان الطيبيون في نفس الوقت يحكمون في معظم هذه المناطق باسم المغول ، كما يقومون بدفع مبالغ سنوية الى زعماء العصفوريين لتسكينهم ولكي يقفوا الى جانبهم عسكريا عندما تدعو الحاجة لذلك . ومن خلال هذه العلاقات المتشابكة التي يرتبط بها العصفوريون يمكن لنا ان نعلل السبب في عدم تعرض هذه القوة لهجومهم عند وصولها الى القطيف ، ان لم يكن هناك سبب اخر كالخشية من هذه القوة الضخمة نفسها .

لقد اثارت انباء الاستعدادات التي تجرى لارسال هذه الحملة ضد مكة ، ذعرا شديدا لدى السلطان المملوكي الناصر محمد قلاوون ، خصوصا اذا ما عرفنا بان السلطان المغولي خدابنده محمد كان ينتمي الى المذهب الشيعي ، الامر الذي ادخل عنصرا جديدا في الصراع مابين القوتين . لذا فقد سارع السلطان الناصر قلاوون بارسال الاوامر الى قبائل طي وامرائهم من آل فضل بان يهاجموا القوة المتجهة نحو مكة ، كما ارسلت الاوامر لاثارة كافة القبائل العربية للتحرك ضد هذه الحملة خصوصا قبائل جنوب العراق ، وربما تم الاتصال ايضا بالعصفوريين .

ومهما يكن امر فان هذه الحملة قد اصبحت بكارثة كبيرة . فعند وصولها الى القطيف وصلتها الاخبار بوفاة السلطان خدابنده وبأن على رجال الحملة ان يتفرقوا . وقد هيأت هذه الظروف فرصة جيدة لقبائل طي - التي كانت قد وصلت البصرة في اثر الحملة وانظمت اليها قبائل البصرة - لكي تهاجم هذه الحملة في طريق تراجعها فواقعت بها خسائرا مادية كبيرة ، وقد وصف ما غنم من هذه الحملة من اموال « بأنه شيء عظيم » (٨١) . على اننا لانستطيع ان نقرر الموقف الذي كان قد اتخذته بنو عصفور من الحملة وهي تواجه هذا المصير ، فهل شاركوا في الهجوم عليها ام لا ؟ والذي يبدو ان غالبيتهم قد وقفوا على الحياد تاركين الحملة تلاقي مصيرها ومعنى ذلك ان التزاماتهم العسكرية تجاه الطيبين غير ملزمة لهم بمساعدة المغول .

على ان مواقف العصفوريين قد اوضحت اوضح من السابق فيما وقع من احداث لاحقه ، فابو الفدا يذكر بأنه حين اظهر الامير مهنا امير طلي في بلاد الشام والعراق عصيانه على السلطان الناصر قلاوون وقيامه بتهديد ارياف الشام وطرق التجارة التي تربطها بالعراق . ثم قيام اخيه فضل بن عيسى بالذهاب الى بغداد والالتجاء بالسلطان المغولي ابي سعيد بن اولجايتو (١٣١٦ - ٣٥) ، الذي رحب به كثيرا واقطعه البصرة . فما كاد الامير فضل بن عيسى الطائي يستقر في البصرة واتباعه حتى قام بنو عصفور عام ١٣١٨/٧١٨ بمهاجمته وطردوه من البصرة . فسارع اخوه الامير مهنا لنجدة وتوجه صوب بني عصفور ، الا انه اضطر لسبب ماعلى الانسحاب من دون ان يدخل في معركة معهم ، وقد غنم بني عامر اموال طائلة تعود لقبائل طلي واتباعهم وقد قدرت بما يزيد على العشرة الاف بغير (٨٢) .

ان قيام العصفوريين بمهاجمة آل فضل واتباعهم في البصرة يمكن ان يعزي الى احدى السببين التاليين : الاول ان يكون قد تم بايعاز من السلطان الناصر قلاوون للانتقام له من آل فضل ، والثاني والذي قد يكون هو الأرجح ان يكون قد تم بتحريض من الملك عز الدين عبد العزيز بن ابراهيم الطيبي (ت ١٣٢٥/٧٢٥) والذي سبق وان ذكرنا بانسه كان يحكم اقليم فارس ومعظم اجزاء الخليج العربي . وان المراق العربي بما فيه البصرة كان قد اقطعه المغول لوالده ثم اقطع له ايضا بعد ان اعقب والده في سلطه . فقيام السلطان ابو سعيد باقطاع البصرة لآل فضل كان يعني خسارة مادية للطيبين ، فطرد آل فضل من البصرة من قبل العصفوريين الذين يدينون بالثبعية لعز الدين عبد العزيز ربما قد يرغم السلطان ابي سعيد على اعادة اقطاعها للطيبين كما كان في السابق .

ومهما يكن من امر فإن هجوم العصفوريين على آل فضل في البصرة كان فيه خدمة لكل من الممالك والطيبين معا .

على ان العلاقة بين بني عصفور وسلاطين الممالك في مصر قد دخلت مرحلة جديدة من القوة والرسوخ في عهد السلطان الناصر قلاوون والذي تولى السلطنة ثلاث مرات اطولها واهمها الفترة التي امتدت من ٧٠٩ الى ٧٤١ - ١٣٠٩ - ٤٠ ، ويبدو ان هذا السلطان كان يدرك اكثر من غيره مدى النفع السياسي والعسكري والاقتصادي الذي يمكن ان تؤديه العلاقة الحسنة مع امراء العصفوريين . والادله التي سوف نوردتها تؤكد لنا قيام مثل هذه العلاقة . ويبدو ان احد اشكال هذا التعاون هو ان يتولى العصفوريون التعرض لقوافل الحجاج العراقيين والايانيين التي قد تسير تحت راية السلطنة المغولية وذلك لمنعها من تحقيق اي كسب سياسي او

اقتصادي من ذلك . الا انه بعد ما تصالح السلطان الايلخاني ابو سعيد مع السلطان الناصر قلاوون قام مباشرة بتسيير قافلة الحج العراقية من البصرة عام ١٣٢١/٧٢١ ، قام العصفوريون باعتراض طريق هذه القافلة بالف فارس وارادوا نهبها . فما كان من المسؤولين عن قيادة هذه القافلة الا ان سارعوا لابلاغ بني عصفور بان القافلة قد سیرت بموافقة السلطان الناصر ، وعندما تأكد لبني عصفور الامر اجابوهم - لاجل الناصر نخفركم بغير شيء - وسمحوا للقافلة بمواصلة السير الى مكة .

فلما بلغ ذلك الامر السلطان الناصر سربه وبالغ في الاعمال على بني عصفور (٨٣) .

على ان ابن فضل الله العمري يروي لنا ما يدل على قوة العلاقة ما بين العصفوريين والسلطان الناصر قلاوون اذ يقول «بان بني عامر قد توالى وفادتهم على الابواب العالية الناصرية واغرقتهم تلك الصدقات بديهما ، فاستجلبت الثنائي منهم وبرز الامر السلطاني الى آل فضل رؤوساء بوادي الشام بتسهيل الطريق لوفودهم وقصادهم ، وتأمينهم في الورود والعود ، واثالت عليه جماعتهم ، واخلصت له طاعتهم . . . » ثم ان ابن فضل الله قد اوضح بان بني عامر قد استمروا في التردد على مصر باعداد كبيرة ، حيث قال « فكان لايزال منهم وفود بعد وفود ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ، لايزال يسد تلك الرحاب ويغص بقبابه تلك الهضاب ، بخيام مشدودة بخيام ، ورجال بين قعود وقيام » ثم قال « وكانت الامره فيهم في اولاد مانع بن عصفور الى بقية امراء فيهم وكبراء لهم » (٨٤) . وقد ذكر لنا ابن فضل الله بعض اسماء زعماء بني عصفور الذين وفدوا على السلطان الناصر قلاوون عدة مرات والتقى هو بهم ، فذكر منهم هلال بن ابي الحسين العامري العقيلي ، والذي وصفه بانه من كبار قومه (٨٥) . وكلبي بن ماجد العامري العقيلي ، والذي قابله ابن فضل الله عام (١٣٣١/٧٣٢) في مصر وسمع منه بعضا من شعره ، ووصفه بانه من امراء البحرين وانه ذو وقار واجلال (٨٦) .

والواقع فان الجهاز المملوكي المعقد كان يضم في اقسامه ، قسما خاصا مهمته متابعة شؤون القبائل . وهذا الدائرة تسمى المهمنداريه ، والموظف المسؤول عنها يسمى المهمندار (٨٧) .

كما ان الاداره المملوكيه قد اعتنت عناية خاصه بمراتب رؤوساء القبائل ، فقسمتهم الى رتب كل بحسب قوته وسعة نفوذه والخدمات المتوقعة منه . وعلى اساس هذه الاهمية ثبت اسلوب مكاتبته والالقب التي يجب ان تذكر عند مراسلته .

وفيما يخص امراء بني عصفور ، فبعد ان ضبطلت اسماؤهم ، صنفوا الى ثلاث مراتب . فاصبحت القابهم التي ترد في المراسلات معهم على الشكل التالي : فالمرتبة الاولى منهم يخاطبون في الرسائل بـ المجلس السامي الاميري . اما المرتبة الثانية فيخاطبون في الرسائل بالقاب مجردة من ياء النسب . كالمجلس السامي الامير . ٠٠٠ اما الذين يأتون في المرتبة الثالثة فيخاطبون بلقب مجلس الامير (٨٨) .

هذا وقد اورد القلقشندي قائمة تتضمن اسماء امراء بني عصفور ومرتبة كل منهم في سلم المخاطبات السلطانية ، كل حسب اهميته . وسوف نورد هذه الاسماء في الموضع المناسب ، محاولين الاستفادة منها في معرفة نوع الادارة في الامارة العصفورية العامرية .

بقي لدينا اشارة واحدة يجمل بنا ذكرها ، وهي تخص العلاقة ما بين بني عصفور ومغول العراق . فقد ذكر الحسيني (ت ٧٦٥ / ١٣٦٣ - ٦٤) بانه في عام ١٣٥٤ / ٧٥٥ قام عرب البحرين بمهاجمة البصرة بهدف الاستيلاء عليها ، فتصدت لهم قوات المغول ، الا انها عجزت عن صدهم ومنيت بهزيمة . فما كان من حاكم العراق الشيخ حسن الكبير الجليري - الذي كان قد خلف المغول اليلخانيين بعد انقراض دولتهم - الا ان استنجد بالامير فواز بن مهنا الطائي احد شيوخ الـ فضل والمتحالف مع الجليريين فاستطاع الامير فوازايقاع الهزيمة بعرب البحرين من بني عصفور بعد ان قتل من الفريقين عدد كبير (٨٩) .

والذي يبدو لنا ان هجوم بني عصفور على البصرة كان بهدف تعويض خسارتهم الاقتصادية والسياسية باستيلاء ملك هرموز على جزر البحرين وارغام الامراء في بقية اجزاء بلاد البحرين على ان يدينوا له بالتبعية ، وهذا ماسوف نشير اليه عند الحديث عن علاقة بلاد البحرين بمملكة هرموز .

يتضح لنا مما سبق بان سلاطين الممالك في مصر كانوا اوفر حظا ونشاطا من المغول في كسب ولاء رؤوساء القبائل العربية المختلفة بما فيهم بني عصفور ، وعلى امتداد رقعة جغرافية واسعة كما كانوا اكثر تقديرا لادوار التي يمكن للقبائل العربية ان تنهض بها في صنع الاحداث .

(٧)

علاقة العصفوريين بالطيبين حكام فارس وجزيرة قيس

ان الاضطراب في الحياة السياسية والاقتصادية في ايران والذي رافق ظهور المغول فيها ، قد انعكس اثره ايضا في مناطق واسعة من الخليج

العربي ، وكان من ابرز نتائج ذلك ضمور بعض القوى السياسية فيه وانكماش حجمها وظهور قوى جديدة نشطت لملء الفراغ في المنطقة . ففي حدود عام ١٢٤٤/٦٤٢ - ٤٥ قام الامير محمود بن احمد الكوسي القلھاتي - الذي ينحدر من اصل عربي ، كما تذكره الشاهنامه - بالاستيلاء على السلطة في مملكة هرموز (٩٠) لينهي بذلك السلالة الحاكمة القديمة ويؤسس سلالة جديدة اخذت تلعب دورا خطيرا في الحياة السياسية والاقتصادية للخليج العربي لفترة طويلة . ولقد تطلعت نفس هذا الامير الطموح لبسط نفوذه على كافة سواحل الخليج العربي والبحر العربي ، فقام في العقد السابع من القرن السابع /الثالث عشر ، بقيادة حملة بحرية وبرية كبيرة هدفها اخضاع عمان الداخل . الا ان هدفه هذا سرعان ما اصطدم بمعارضة من قبل امراء عمان الداخل من النبهانيين ، مما جعله يغير في اتجاه حملته ويوجهها نحو ظفار التي كانت تحكمها اسرة الجبوسيين . وقد شن هجوما بحريا عليها بعد ان جند عددا كبيرا من العرب وفتك بأهلها ونهبها نهبا ذريعا وانسحب بعدها عائدا الى قاعدته قلھات . الا ان هذا النصر الذي احرزه الامير محمود القلھاتي لم يمر دون ان يدفع ثمنه غالبا . فقد تاهت قواته في الصحراء وهي في طريق عودتها برا الى مواطنها ، فمات عدد كبير من امراء هذه القوات جوعا وعطشا . اما بقية افراد هذه الحملة والتي تركت كحامية في قلھات ومعها عدد من السفن ، فقد تعرضت هي الاخرى لهجوم شنه عليها رجال قبيلة بني جابر ، فابادوها واحرقوا سفنهم الراسية في الميناء . ولقد قدرت المصادر العمانية عدد الذين كانوا قد هلكوا من افراد هذه الحملة بخمسة الاف رجل (٩١) .

ولقد اخطأ ولكنسون حينما ذكر بأن امير هرموز محمود بن احمد القلھاتي كان من بين الذين هلكوا في هذه الحملة (٩٢) ، اذ ان الامير القلھاتي قد عاش فترة غير قصيرة بعد هذه الحملة .

ان هذه النكبة التي اصيبت بها قوات الامير محمود القلھاتي لم توقف طموحه للسيطرة على مناطق الخليج العربي ، فقد قام في حدود عام ١٢٧١/٦٧٠ بحملة بحرية ضد جزيرة قيس احدى اهم المراكز التجارية في الخليج - وتمكن من الاستيلاء عليها . كما تمكن في حدود هذا التاريخ من اخضاع جزر البحرين والقطيف .

ويعدد لنا الشبانكارى (الف كتابه في حدود عام ١٣٤٢/٧٤٣ - ٤٣) ونطنزى (الف كتابه في حدود ١٤١٣/٨١٦) المناطق التي كان قد اخضعها الامير محمود بن احمد القلھاتي لسيطرته ، بانها قد شملت كل من ظفار

وقلهاة وقيسي والبحرين والقطيف ونزوين-(٩٣) ، وان نفوذه اخذ يمتد من الهند حتى البصرة (٩٤) .

والذي يبدو لنا ان الامير محمود قلهاة لم يتمتع بنفوذه طويلا في جزر وسواحل بلاد البحرين ، اذ ان اتساع سلطته كان يهدد مشاريع المغول الاستراتيجية في السيطرة على طرق التجارة ما بين المحيط الهندي والبحار العربية ، لذا فقد قام الحاكم المغولي لبلاد فارس سوغونجاك ببناء اسطول في خورسيف عند سواحل فارس وهاجم به اساطيل امير هرموز عام ١٢٧٢/٦٧١ . الا ان هذه الحملة منيت بهزيمة كبيرة ، مما كان من سوغونجاك الا ان عاود الكرة مرة اخرى وقام باستعدادات اكبر ، فبنى سفنا جديدة كما صادر سفن بني عصفور ورعاياهم من سواحل وجزر بلاد البحرين واستطاع بذلك تحقيق النصر على اسطول الامير محمود قلهاة وتمقبه حتى قلهاة .

ان البرفسور اوبين يبدي شكوكه في الرواية القائلة بأن الامير قلهاة كان قد استطاع اخضاع جزر البحرين والقطيف . فهو يرى بأنه من غير الممكن لأمير هرموز بعد الهزيمة التي احاقت باسطوله امام اسطول المغول ان يستطيع السيطرة على هذه الاجزاء (٩٥) .

الا اننا نقول بأنه ليس هناك من مصدر يشير بأنه قد تم للامير محمود قلهاة بسط نفوذه على جزر وسواحل بلاد البحرين بعد هزمته امام المغول . ان الاكثر قبولا ان يقال بأنه يستبعد على امير هرموز ان يحتفظ بسلطته على بلاد البحرين بعد هذه الهزيمة ومهما يكن من امر فان الفترة التي سيطر فيها امير هرموز على بلاد البحرين ربما كانت قصيرة جدا .

ومما هو جدير بالذكر ان النبهاني قد ذكر بأن جزر البحرين كانت قد خضعت لحكم المغول مباشرة بعد زوال سلطة السلفريين ، من دون ان يبين سنده التاريخي في ذلك (٩٦) . ولقد تابعه في ذلك آخرين ممن نقل عنه دون ادنى تمحيص . ان الأدلة التي اوردناها أو التي سوف نوردناها تضعف هذا التصور الى حد كبير . ويمكن ان نوضح ابتداء بأن جزر البحرين يصعب اخضاعها بالقوة الا لمن يملك قوة بحرية ضاربة في الخليج العربي . وحيث ان المغول لم تتوفر لديهم مثل هذه القوة لذا فان فرض سيادتهم عليها امر مشكوك فيه الى حد بعيد .

ومهما يكن من امر فان ما لدينا من ادلة تكفي للقول بأن العصفوريين

كانوا في هذه الفترة يتمتعون بسلطة كاملة في بلاد البحرين وانهم اقاموا علاقة حسنة مع السلطان الملوكي الظاهر بيبرس على الرغم من المهاد القائم بين هذا السلطان والمغول في العراق وايران . أما بخصوص ظفار فان الحبوضيين كانوا اصحاب السلطة الواسعة فيها كما كانوا اصحاب النفوذ الاقوى في حضرموت ايضا الى الحد الذي جعلهم يتحدون الدولة الرسولية في اليمن . ومما هو جدير بالذكر ان كلا من ظفار والبحرين هي من المناطق التي ذكرتها المصادر بانها كانت خاضعة للامير محمود القلهاطي .

لقد كانت هناك صلات قوية ما بين المعصوريين في البحرين والحبوضيين في ظفار وحضرموت خلال هذه الفترة ونستدل على ذلك من انه عندما قام سلطان اليمن المظفر الرسولي عام ١٢٧٩/٦٧٨ بارسال حملة ضد ظفار الحبوذي ، ووصلت هذه القوات الى ظفار ، سرت اشاعة مفادها ان قوات بلاد البحرين قد وصلت لتجدة الحبوضيين مما اثار مخاوف القوات اليمانية . وبالرغم من اننا لانملك معلومات كافية عن مدى صحة هذه الاشاعات التي راجت في حينها ، الا ان مجرد انتشارها يعكس في الواقع وجود الصلة المتينة ما بين ظفار الحبوذي وحكام البحرين . على ان موقف امراء بني عصفور من ظفار سرعان ما تغير بعد ان نجح سلطان اليمن في انهاء حكم الحبوضيين فيها . فالخزرجي مؤرخ الدولة الرسولية ، يذكر بانه « لما افتتح السلطان مدينة ظفار وقتل سالم بن ادريس ارتعدت الاقطار القصية هيبة للسلطان وامتلأت من خوفه قلوب ملوك فارس واصحاب الهند والصين . . . فارسل صاحب عمان بهديته . . . ووصلت هدايا صاحب الصين ، ووصل صاحب البحرين الى زبيد (٩٧) » . ان كل ما نستطيع قوله مع كثير من التحفظ هو انه في اواخر القرن السابع/الثالث عشر ارتبطت بلاد البحرين بنوع من العلاقة الغير مباشرة بالمغول . اذ انه في عام ١٢٩٢/٦٩٢ اقطع الايلخان كيخاتو (١٢٩١/٦٩٠ - ١٢٩٥/٦٩٤) سلطان العراق وايران ، اقليم فارس بما فيه جزيرة قيس الى تاجر عراقي اسمه جمال الدين ابراهيم بن محمد الطيبي الملقب بأبن السواملي (٩٨) لمدة اربعة اعوام . وابراهيم هذا كان قد استطاع ان يجمع له ثروة طائلة من تجارة اللؤلؤ والخيول ومن احتكار التجارة ما بين الخليج العربي والمحيط الهندي وامتلك ما يقرب من مائه سفينة . فهو في عرف ذلك الزمان من اصحاب الملايين . ولقد حصل جمال الدين ابراهيم الطيبي من الايلخان المغولي على كل امتيازات الحاكم المستقل ، فقد منح لقب ملك الاسلام وان تضرب له النوبة في بابه ثلث مرات (٩٩) .

ومما تجدر الإشارة اليه هنا ان المقصود بالاقطاع الذي منحه الايلخان كيخاتو الى جمال الدين ابراهيم الطيبي ليس شيئا بالاقطاع الاربي او الاقطاع العربي ولا يقابل كلمة Fief بل ان المقصود به هو التحويل لشخص ما بادارة اقليم من الاقاليم ادارة شبه مستقلة مقابل قيامه بدفع مبالغ سنوية مقرره الى الخزينة المركزية للدولة الايلخانية (١٠٠) ومهما يكن من امر فانه لم يكد تمضي سنة واحدة على تسلم ابراهيم الطيبي ادارة اقليم فارس وجزيرة قيس حتى تمكن من التخلص من موظفي الادارة المغولية ، واخذ يحكم فيها حكما شبه مستقل .

ولقد استطاع ابراهيم هذا ان يدخل كلا من القطيف والحسا وجزر البحرين الى دائرة نفوذه السياسي والاقتصادي ، مستغلا الخلافات العادة بين الامراء المصنوريين ومعتمدا على قوته الخاصة دون الاستعانة بالمغول كما استطاع ان يدخل في دائرة نفوذه ايضا العراق العربي بما فيه المدينتين الهامتين واسط والبصرة ، بعد ان كان قد اقطعها اليه السلطان الايلخاني غازان (١٢٩٥ - ١٣٠٤) ، عام ٦٩٦ / ١٢٩٦ ولمدة ثلاث سنوات (١٠١) . وخلال فترة تمتعه بالسلطة والتي امتدت حتى عام ٧٠٦ / ١٣٠٦ - ٧ تمكن من احتكار التجارة ما بين الخليج العربي والمحيط الهندي ، بالتعاون مع اخيه تاج الدين عبد الرحمن الطيبي ، والذي كان هو الآخر قد استقل بحكم بعض المدن الساحلية في الهند (١٠٢) .

ومن اجل كسب رضى وولاء زعماء بني عصفور في بلاد البحرين لجأ ملك الاسلام ابراهيم الطيبي الى اعطائهم مبالغ من المال سنويا (١٠٣) . مثلما كان يفعل السلفريون .

ان ظهور الزعامة السياسية لملك الاسلام جمال الدين ابراهيم بن محمد الطيبي ، في الخليج العربي تثل اصدق تمثيل ماسبق ان ذكرناه عند الحديث عن سمات مجتمع الخليج العربي بانه قد افرز زعامات سياسية معتمدة على قوتها الاقتصادية وعلى كثرة اتباعها الذين يدينون لها بالتبعية الاقتصادية وانهم في قوتهم يوازنون قوة الشيوخ والحكام، وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ والخيول واصحاب السفن . لقد استطاع ابراهيم الطيبي ان يؤسس سلالة عربية حاكمة في الخليج العربي تمكنت من السيطرة سياسيا واقتصاديا على كافة سواحله بل امتد نفوذهم الى السواحل الهندية . ومن المؤسف حقا ان يعتمد باحث إيراني معروف هو المرحوم عباس اقبال الى اهمال الانتماء العربي لهذه الاسره ، مثلما تجاهل ايضا ما ذكرته المصادر التي اعتمد عليها من ان الغالبية العظمى من سكان الساحل الايراني هم من العرب . ولا يمكن ان يعزى ذلك الا الى شدة تعصبه ضد العرب وتسخير بحثه لدعم ادعاءات سياسية معروفة .

بعد وفاة جمال الدين ابراهيم الطيبي عام ١٣٠٧/٧٠٦ اغتبه في السلطة ولده الملك عزالدين عبد العزيز ، كما ان بقية اولاده كانوا يحكمون في مناطق مختلفة من الخليج خصوصا في جزيرة قيس . وقد استمر نفوذهم قائما في البصرة وبلاد البحرين (١٠٤) . ومن المحتمل جدا ان العصفوريين قد اشتركوا الى جانبهم - بحكم ما تفرضه عليهم شروط التبعية - في الحرب التي دارت بين حكام هرموز وعز الدين عبد العزيز الطيبي والتي استمرت لمدة ثلاث سنوات وانتهت لصالح الطيبيين (١٠٥) . وقد بلغت اسرة الطيبيين اوج قوتها واتساع نفوذها في هذه الفترة .

بعد وفاة الملك عزالدين عبد العزيز الطيبي عام ١٣٢٥/٧٢٥ ثار النزاع حول السلطة بين احفاد جمال الدين ابراهيم الطيبي ، مما اضعفهم كثيرا وانتهى الامر بهم الى الزوال من اقليم فارس اولا على يد محمود شاه اينجو الذي نجح في تأسيس اسرة حاكمة في هذا الاقليم عام ١٣٢٥/٧٢٥ . وثانيا من جزيرة قيس على يد أمير هرموز قطب الدين تهمتن الثاني وذلك في حدود عام ١٣٣٠/٧٣١ . فلقد استطاع الاخير الاستيلاء على جزيرة قيس وهي القاعدة الرئيسة لنفوذ الطيبيين السياسي والاقتصادي في الخليج العربي ، كما استولى تهمتن فيما بعد على جزر البحرين ايضا .

ولقد استغل امير هرموز قطب الدين تهمتن الثاني ، الفوضى التي عمت ايران والعراق في اعقاب وفاة السلطان المماليكي ابي سعيد عام ٧٣٦/١٣٣٥ فاستولى على القطيف وأجزاء من السواحل العربية للخليج (١٠٦) . وفي هذا الصدد يقول الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة - الذي كان قد زار الخليج العربي مرتين - بأنه بعد وفاة السلطان سعيد الايلخاني تغلب المتغلبون على ملكه فمنهم الملك قطب الدين تهمتن (تهمتن) تغلب على هرمز وكيش (التسمية الفارسية لقيس) والقطيف والبخيرين وقلهات (١٠٧) .

يتضح لنا مما سبق بأن بلاد البحرين لم تخضع لنفوذ المغول المباشرين ، كما ذهب الخيال بالنهباني انما كانت خاضعة لمدة تقرب من اربعة عقود من السنين لاسره عربية هي اسرة الطيبيين وانهم قد فرضوا نفوذهم عليها بقوتهم الخاصة . وان نفوذ الطيبيين كان يتركز في الاشراف على شؤونها المالية ، خصوصا واردات الكمارك وتركوا شؤونها الداخلية لامراء بني عصفور من آل عامر ، مع دفع مبالغ سنوية لهم على ان يقدموا الدعم العسكري للطيبيين كلما دعت الحاجة الى ذلك . ويمكننا ان نستثني جزر البحرين من ذلك . اذ ربما كان للطيبيين عليها اشراف اوسع من بقية بلاد البحرين نظرا لموقعها

واهمية مواردها . ويمكن ان نستدل على ذلك من قول المستوفي القزويني (الف كتابة عام ١٢٤٠/٧٤٠) من ان كل من البحرين والاحساء والقطيف والخط ودارين كانت في السابق تعتبر من مملكة العرب ، اما في الوقت الحاضر فان جزيرة البحرين تدخل اداريا ضمن اقليم فارس اما القطيف والاحساء والاماكن المجاورة لها فهي لا تعترف في معظم الاوقات بحكام البحرين (١٠٨) . والذي يفهم مما ذكره المستوفي ، ان هذا الوضع في بلاد البحرين ، هو الذي كان سائدا في عهد الطيبين ، بل ربما كان كذلك في عهد ملك هرموز قطب الدين تهتمن الثاني . ولعل ابرز دليل على تحرر بلاد البحرين من التبعية للمغول هو ما اسلفنا ذكره من قيام العصفوريين بالهجوم على البصرة بهدف احتلالها وهي جزء من السلطنة الايلخانية وذلك عام ١٣١٨/٧١٨ ثم تعرضهم لقافلة الحج المراقية التي ارسلها السلطان ابو سعيد عام ١٣٢١/٧٢١ . واخيرا علاقتهم الوثيقة بممالك مصر خصوم المغول خصوصا في عهد السلطان الناصر قلاوون .

ان بلاد البحرين قد بقيت في هذه الفترة تحكم من قبل العصفوريين وهذا ما سبق ان اوردناه نقلا عن ابن فضل الله العمري المعاصر لهذه الفترة . ولعل القلقشندي كان يدرك ما سوف يثور من جدل حول الهويه السياسية لبلاد البحرين خلال هذه الفترات الغامضة . فقطع جازما بالقول « بأن بلاد البحرين لم تزل بيد العرب » (١٠٩) ومن المؤسف حقا ان ابن بطوطة الذي قد زار كلا من جزر البحرين والقطيف والاحساء خلال زيارته للخليج العربي في حدود عام ١٣٣٢/٧٣٢ لم يذكر لنا اسماء حكام هذه المناطق او طبيعة علاقتهم بمملكة هرموز ، فاضاع بذلك علينا الفرصة للكشف عما يكتنف هذه الفترة من غموض . ومن الغريب ان رنر قد نسب الى ابن بطوطة القول بأن القطيف كانت تحكم من قبل اسرة جروان العقيلي (١١٠) . وهذا ما لم يقله ابن بطوطة قط وما هو الاتخليف من رنر . ان ابن حجر العسقلاني هو الذي انفرد بهذه الرواية ونقلها عنه السخاوي ، وهذا ما سوف نشير اليه في موضعه المناسب . والذي نميل اليه هو ان بلاد البحرين لم تكن خاضعة لأحد عند زيارة ابن بطوطة لها وانه لم يقابل امراءها لكونهم متغييبين عن المدن التي مر بها ثم انه لم يمكث فيها الا فترة قصيرة .

لقد بقي ان نقول بان العملة المكتشفة في جزر البحرين من قبل البعث الاثرية الدنماركية وهي تحمل اسم بادشاه ابو سعيد ، يمكن ان تصلح دليلا للعلاقة التي تربط هذه الجزر بحكومة الطيبين . ومن الغريب حقا ان يذهب الخيال بنيقولا لاس لويك الى القول بان هذه النقود من المحتمل انها تعود الى حاكم ينحدر من اسره ابي سعيد الجنايبي ، حكم في جزر البحرين في هذه الفترة (١١١) .

علاقة العصفوريين بمملكة هرموز

بدخول اماره العصفوريين ضمن دائرة نفوذ قطب الدين تهمتن الثاني في نهاية العقد الرابع من القرن الثامن / الرابع عشر ، تكون الامارة قد بدأت فترة جديدة في تأريخها اذ ان صلة بلاد البحرين بمملكة هرموز قد استمرت بعد ذلك لمدة تزيد قليلا على القرن ونصف القرن .

والواقع فان الفترة الاخيرة من عهد تهمتن الثاني تمثل بداية عهد من القوة والازدهار شهدتها مملكة هرموز . اذ بدأت تحل في الزعامة السياسية والاقتصادية محل جزيرة قيس بعد ان زال منها حكم الطيبين ، على ان عهد تهمتن الثاني بالرغم من ذلك لم يغل من بعض المشاكل الداخلية . ففي ربيع عام ١٣٤٥/٧٤٥ وخلال غيابه عن جزيرة هرموز ، دبر اخوه نظام الدين كيقباز ثورة ضده في الجزيرة ونصب نفسه على اثرها ملكا فيها ، ولم تنجح محاولات تهمتن لاستعادة عرشه ، الا بعد الوفاة المفاجئة لـ اخيه كيقباز . وقد خلف ولدين هما شادي وشنبه اللذين عجزا عن الاحتفاظ بالسلطة من بعده فهربا بالخزائن والاموال ومعهم عساكرهم الى جزر البحرين حيث سيطرا عليها . لكنهما لم يركنا الى الهدوء بعد استقرارهما في البحرين ، اذ تطلعت نفوسهما للسيطرة على جزيرة قيس ونجحا في ذلك حيث اتخذ شادي من قيس مركزا لحكومته . وقد مثل هذا التوسع الذي قام به الاخوان شادي وشنبه تهديدا خطيرا للملكة هرموز ، فجهز تهمتن ضدهما حملة بحرية هدفها استعادة قيس منهما ، الا انه فشل في حملته الاولى . وعندما عاود الكرة في حملته ثانية نجح في استعادة جزيرة قيس ، مما اضطر شادي الى الهرب واللجوء الى جزر البحرين . وعلى الرغم من ذلك فان الاخوين شادي وشنبه لم تفت في عضدهم هذه الهزيمة وواصلوا الاستعدادات لاستعادة جزيرة قيس . وعندما تهيئت لهم الظروف انطلقا من جزيرة البحرين بحملة بحرية كبيرة تمكنا بها من الاستيلاء على قيس ثم انطلقا منها لاكمال مساعي اعتزما احتلاله من اراض . ومن الطبيعي أن يتحرك عمهما ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثاني لصدد هذا الخطر الداهم على ملكة ، وقد تمكن بعد معارك بحرية عديدة من استرجاع ما استوليا عليه من مناطق وخاصة جزيرة قيس . وكان من نتيجة هذه الهزيمة التي حاقت بالاخوان ان ثار بينهما النزاع ، اذ ان شادي قد حمل اخاه شنبه مسؤولية هذه الهزيمة مما اضطر الاخير على الهرب من البحرين والالتجاء الى شيراز (١١٢) .

ومن الجدير بالذكر ان ابن بطوطه عندما زار جزيرة هرموز عام ١٣٣٦/٧٤٧ كان ملكها قطب الدين تهمتن الثاني مشغولا بحربه مع ابنه

أخيه • وقد قال ابن بطوطة بأن هذه الحرب قد سببت ضررا كبيرا لتجارة الخليج العربي وخصوصا لبلاد البحرين ، التي قال عنها بأن معظمها قد تخرب لتعرضها لهجمات شادي وشنبه (١١٢) •

ومهما يكن من أمر فأننا لا نملك أي معلومات عن موقف بني عصفور خاصة وسكان بلاد البحرين عموما من هذه الحروب • إلا أنه يفهم من كلام ابن بطوطة بأن الأخوين شادي وشنبه كانا قد حاولا الاستيلاء على سواحل بلاد البحرين وقاموا بعدة هجمات عليها إلا أنهما صدوا في جميع هجماتهم هذه • وكانت النتيجة أن أصيبت بلاد البحرين بأضرار مادية كبيرة •

وعندما توفي ملك هرموز قطب الدين تهمتن الثاني عام ١٣٤٧/٧٤٨ ٤٨- حاول شادي الاستفادة من هذا الظرف فأنطلق بحملة بحرية جديدة من جزيرة البحرين وتمكن بواسطتها من الاستيلاء على جزيرة قيس • وكان على ملك هرموز الجديد تورانشاه الذي أعقب والده في الحكم ، أن يحسم الوضع مع أبناء عمه لذا فقد جرد حملة ضد شادي وتمكن بعد معارك من طرده من قيس واضطره للهرب إلى جزيرة البحرين • ولم تمضي إلا مدة قصيرة على عودته إلى البحرين حتى وافاه الأجل مغلما ولدا صغيرا •

وعندما علم تورانشاه ب وفاة ابن عمه ، لم يتحرك نحو البحرين بل أنه أعطى حكم الجزيرة لابن شادي الصغير • إلا أن شنبه الذي كان يراقب الموقف عن كثب وهو في شيراز ، سارع إلى جزيرة البحرين واستولى على السلطة فيها بعد أن قتل ابن أخيه ونكل بقسوة بكافة أتباع أخيه ممن كان قد وقف ضده عندما تنازع مع أخيه • لقد أشاع شنبه الرعب في الجزيرة فأخذ يهرب منها سكانها خشية من بطشه • وفي هذا الجو الإرهابي الذي خلقتة نوازع شنبه ، أخذ زعماء جزيرة البحرين يتحركون ويتكتلون لازاحتهم عن كاهلهم وتخليص الجزيرة من السيطرة الخارجية وإعادة الحكم فيها إلى زعمائها الأصليين • ويفهم مما ورد في الشاهنامه أنه كان في جزيرة البحرين ثلاثة زعماء بارزين لهم ثقلهم في الحياة العامة • الأول هو الشيخ أحمد بن راشد ابن [مانع بني عصفور] زعيم بني عصفور من عامر • والثاني على بن محمد البهلوان والذي كان شنبه قد أودعه السجن لأن اتجاهاته فيما يبدو معادية لشنبه وللحكم الأجنبي في الجزيرة هذا ومن المحتمل أن لقب البهلوان الذي يحمله على بن محمد يعود لكونه قائدا لقوافل الحج • إذ أن كلمة البهلوان تأتي بالفارسية بمعنى البطل والشجاع ، كما تأتي بمعنى أمير الحج • وإذا صح ما ذهبنا إليه من أن هذه الكلمة قد استعملت لقباً له بمعناها الثاني فلا بد أن يكون على بن محمد من أصحاب الثروة والنفوذ في الجزيرة بالإضافة إلى

احتمال وجود صلات واسعة له مع زعماء بني عصفور وبقيّة زعماء القبائل العربية لما يتطلبه نجاح قيادة قوافل الحجّاج من وجود مثل هذه الصلة . ومهما يكن من أمر فإن ميوله السياسية والتي سوف تظهر فيما بعد ربما تعزز مذهبنا اليه . أما الزعيم الثالث فهو الأمير عجيب Ageb والذي نميل اليه ان هذا الاسم ربما قد حرف عن اصله نتيجة لترجمة الشاهنامة الى اللغات الاجنبية . وان الاسم الاصلي له قد يكون عجيل او عقيل . وعلى كل حال فإن الأمير عجيب او عجيل كان اسبق زعماء البحرين للعمل ضد شنبه . اذ جمع اتباعه وهاجم شنبه في قصره وتمكن من اقتحامه وقتل شنبه . وبذلك اصبحت السلطة في الجزيرة في يديه . الا انه رأى بانه لكي يستتب الامر له لا بد من الحصول على تأييد اصحاب النفوذ القوى فيها . فسارع للاتصال بعلي بن محمد البهلوان . الذي كان اطلق سراحه فور نجاح انقلابه وكاشفة بنواياه في الاستقلال بالبحرين وطلب منه الدعم والتأييد . الا أن البهلوان سرعان ما خيب اماله واصر بدلا من ذلك على ان تضم جزيرة البحرين الى بقية بلاد البحرين كما كانت في السابق وان يعود الحكم فيها الى بني عصفور العامريين الامر الذي جعلهما يفترقان في الهدف والعمل ، ومن الطبيعي ان تكون وجهة نظر الشيخ احمد بن راشد زعيم بني عصفور في جزيرة البحرين متطابقة مع وجهة نظر البهلوان . لذا فقد اخذا يعملان معا في هذا السبيل ولكي يتحق لكل من الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان ما يهدفان اليه قام هذان الزعيما بالذهاب الى القطيف واتصلا بحاكمها الشيخ ماجد وطلبا منه العون للتخلص من الأمير عجيب او عجيل وضم جزيرة البحرين الى القطيف . الا ان موقف حاكم القطيف الشيخ ماجد كان مفاجئا لهما عندما رفض طلبهما لشكوكه في نواياهما ، معتقدا بان هدفهما الحقيقي هو الاستيلاء على السلطة في جزر البحرين والاستقلال فيها ، لذا فقد فضل ان تعود الجزر الى سلطة مملكة هرموز وان يحافظ على علاقة التبعية معها لذا قام الشيخ ماجد بأعتقال هذين الزعيمين وارسلهما مخفورين على ظهر سفينة الى الأمير تورانشاه . والواقع فان الموقف الذي وقفه حاكم القطيف من الشيخ احمد بن راشد زعيم بني عصفور في البحرين ومن حليفة البهلوان ليؤكد عمق الخلافات بين زعماء بني عصفور ، وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمري وهو يتحدث عن وضع زعماء بني عصفور حينما قال ٠٠٠ الا ان الكلمة قد صارت بينهم شتى ، والجماعة متفرقة (١١٤) . وبعد اطلاق ملك هرموز تورانشاه على احداث البحرين سارع اليها على رأس قوة بحرية ، وبصحبه الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان . فما كان من الأمير عجيب الا ان سارع لاستقباله وقدم له فروض الطاعة ، والتمس منه تكليفه بحكم جزر البحرين مقابل الخدمات

التي قدمها بقضائه على شنبه .

الا ان تورانشاه كما يبدو لم يطمئن الى نواياه ، وانما كان يعتزم احكام سيطرته على الجزيرة لذا فلم يكتف برد طلبه بل هدهه بأوخم العواقب . فما كان من الامير عجيب (عجيل) والخطر يهدد حياته ، الا ان هرب من المنامة وهي ميناء البحرين الرئيس - واختفى في احدى القرى في الجزيرة ، لكن مكان اختفائه اكتشف فقبض عليه حيث اعدم .

اما الشيخ احمد بن راشد وعلي بن محمد البهلوان فقد اطلق تورانشاه سراحهما بعد ان كان قد استرضاهما . امضى تورانشاه فترة من الزمن في جزر البحرين كان خلالها مشغولا بترتيب الاوضاع فيها بالشكل الذي يمنع تكرار ماحدث في السابق . على ان تورانشاه نفسه - والذي ينسب اليه تأليف كتاب الشاهنامه المكرس لتاريخ ملوك هرموز - لم يذكر لنا الوضع السياسي والاداري الذي استقرت عليه الامور في البحرين . وهل عين عليها حاكما من افراد أسرته يخضع له مباشرة ، ام انه جعلها تابعة الى حاكم القطيف الذي ابدى اخلاصا واطاعة له ؟

ومهما يكن من امر فان تورانشاه بعد ان اكمل مهمته في البحرين غادرها الى القطيف حيث استقبله بترحاب شديد حاكمها الشيخ ماجد . وقد وصفت الفترة التي قضاها في القطيف بأنها فترة راحة واستجمام على انه كما يبدو قد استهدف من هذه الزيارة تأكيد تبعية كل من القطيف والحسا الى مملكته . وبعد أن تأكد لتورانشاه استقرار الامور في بلاد البحرين بالشكل الذي يريده ، غادر القطيف الى جزيرة البحرين ومنها الى جزيرة هرموز حيث مقر ملكه (١١٥) . ان الامر المهم الذي نفتقر اليه بخصوص احداث بلاد البحرين هو معرفة تاريخ حدوثها . فتورانشاه الملك المؤرخ لم يشر الى ذلك . الا انه من المحتمل انها وقعت فيما بين العقد السادس والسابع من القرن الثامن/الرابع عشر . هذا وما يجدر ذكره ، ان الملك المؤرخ تورانشاه قد توفي عام ٧٧٢/١٢٧٠ - ٧١ بحسب مارواه نظنزي و عام ٧٧٩/١٢٧٧ - ٨ بحسب مارواه تكسيرا . اما منجم باشي والذي اعتمد فيما كتبه عن ملوك هرموز على القاضي غفاري ، فقيّد ذكر انه توفي عام ٧٨٨/١٣٨٦ (١١٦) .

وبقي ان نقول ان كتاب الشاهنامه يمثل مصدرا قيما لمعرفة تاريخ القوى السياسية في الخليج العربي خلال الفترة التي تطرقنا اليها في بحثنا هذا وقد اقلت المعلومات التي زودنا بها هذا المصدر الثمين الضو على هوية القوى الحاكمة في بلاد البحرين وطبيعة صلتها بمملكة هرموز . ومن الواضح ان بلاد البحرين كانت لاتزال تحكم في هذه الفترة من قبل بني

عصفور العامريين الأمر الذي ينفي الرواية القائلة بأن حكمهم قد زال في هذا التاريخ من بلاد البحرين وحل محله حكم بني جروان . وهذا ما سوف نتعرض له بالنقد عند الحديث عن زوال حكم بني عصفور .

على انه من المفيد مواصلة البحث في العلاقة ما بين مملكة هرموز وبلاد البحرين والوقوف بها في حدود نهاية النصف الاول من القرن التاسع / الخامس عشر ، بغض النظر عما حدث خلالها من تغيير في الاسرة الحاكمة في بلاد البحرين . على ان نعاود الحديث في هذه الصلة خلال الفترات اللاحقة وذلك عند بحثنا عن الدور الثاني لحكم بني عامر تحت زعامة بني جبر .

لا بد لنا ابتداء من نفي ما ذكره النبهاني من ان جزر البحرين كانت قد خضعت لحكم تيمورلنك (١١٧) ان مذهب اليه النبهاني لا يستند الى دليل، فنظام الدين شامي وشرف الدين يزدي اللذان ألفا في سيرة تيمورلنك لم يوردا اية اشارة في هذا الصدد . فكل ما اوردا ذكره هو وصول قوات تيمورلنك الى سواحل الخليج العربي ، فتيمورلنك ارسل عام ١٣٩٣/٧٩٦ - ٩٤ حملة عسكرية بقيادة حفيده امير زاده محمد سلطان بن جهانكير ، نحو اقليمي فارس وكرمان حيث استطاعت اكتساح مدنها وقلاعها والموانئ المطلّة على الخليج العربي ووصلت في تقدمها الى ذلك الجزء من كرمان الذي يسمى موغستان او هرموز القديمة ويعتبر جزء من مملكة هرموز مما اضطر ملك هرموز محمد شاه الى الهرب من جيوش تيمورلنك والاعتصام بجزيرة هرموز . ولما كانت جيوش تيمورلنك لا تملك السفن فأنها وقفت عاجزة عن احتلال الجزيرة ، ومع ذلك فإن محمد شاه اضطر الى دفع مبالغ كبيرة الى حفيد تيمورلنك لقاء الاعتراف به حاكما في هرموز . ان هذه الرواية عن علاقة تيمورلنك بالخليج العربي يؤكدّها ايضا نطنزي المعاصر للاحداث ومثل ذلك يرد عند منجم باشي وليس هناك من رواية البتة يفهم منها خضوع بلاد البحرين او جزء منها لنفوذ تيمورلنك (١١٨) ونعيد القول بأنه لا يمكن لقوة خارجية لا تمتلك اسطولا قويا من اخضاع بلاد البحرين .

ومن المفيد هنا ان نلفت النظر الى حقيقة كانت قائمة وهي ان ملوك هرموز كانوا قبل غزو تيمورلنك وبعدها يقومون بدفع مبالغ من المال لكل من سكام كرمان وفارس من المظفرين وبني اينجو ، بشكل منتظم تارة وبغير منتظم تارة اخرى وذلك بحسب ما تقتضيه الظروف العامة . وبالرغم من ذلك لا يمكن القول بأن بلاد البحرين التي تدين بالتبعية للملك هرموز في ذلك الحين، خاضعة بشكل مباشر او غير مباشر لحكام تلك الجهات . والواقع فإن الاعتبارات

الاقتصادية والسياسية هي التي ترغم امراء بلاد البحرين على ان يدنوا بالتبعية لمن يمتلك قوة بحرية متفوقة في مياه الخليج العربي ، لئلا يؤدي وقوفهم في وجه هذه القوة الى الحاق ضرر كبير بنشاطهم التجاري ، باعتبار ان بلاد البحرين تشكل حلقة الصلة ما بين الطرق التجارية البحرية والبرية او الى اضعاف مركزهم العسكري تجاه خصومهم السياسيين في الداخل . ومن المفيد ايضا ان نورد مذكرته بعض المصادر ان تيمورلنك بعند استيلائه على بغداد عام ٧٩٥/١٣٩٣ قام بأرسل حملة عسكرية الى البصرة بقيادة ابنه ميرانشاه ، الا انها منيت بهزيمة كبيرة فيها واسر ابن تيمورلنك . ان الذي يهمننا من هذه الواقعة هو ان المصادر قد ذكرت بأن الذي هزم جيوش تيمورلنك في البصرة اسمه صالح بن جولان (١١٩) . وقد وصف صالح هذا بأنه صاحب البصرة والبحرين ، وانه كانت تلتف حوله اعداد كبيرة من عرب البصرة والبحرين (١٢٠) .

ومهما يكن من امر فإن هذه الحادثة تفيد بأن عرب البحرين قد قاوموا جيوش تيمورلنك في البصرة ، واذا كان تيمورلنك قد نجح اخيرا في الاستيلاء عليها فإنه لم تردنا اشارة تفيد بقيامه بهجوم برى على بلاد البحرين . ان مانملكه من شواهد تدل على ان بلاد البحرين قد استمرت خلال القرن التاسع/الخامس عشر تدين بالتبعية للملك هرموز . فالسغاوي (ت ٩٠٢/١٤٠٧) عندما ترجم لقطب الدين فيروزشاه وصفه بأنه ملك هرموز والبحرين والحساء والقطيف ، كما ان السغاوي نفسه قد وصف ايضا سيف الدين مهار الذي اطلق بحكم والده فيروز شاه سنة ٨١٩/١٤١٧ ، بأنه صاحب جزيرة هرموز والبحرين (١٢١) . اما جعفرى فقد ذكر عند حديثه عن سيف الدين مهار بأنه قد قام بأرسل حكام من قبله الى مناطق عديدة، وذكر من بينها القطيف والبحرين (١٢٢) . ويعطينا منجم باشي صورة اخرى عن الموقف . فعند حديثه عن الانقلاب الذي دبره سيف الدين مهار ضد والده الذي كان متغيبا في الحج قال بأن سيف الدين مهار قد استولى على جيرون والبحرين وعمان والقطيف وقلعات وهرموز ومنوجان وغيرها وضبط البلاد (١٢٣) . ومما هو جدير بالذكر ان حاكم قلعات فخر الدين تورانشاه قد قام بثورة اطاحت بحكم اخيه سيف الدين مهار عام ٨٤٠/١٤٣٦ - ٣٧ . ان ثورة فخر الدين تورانشاه ضد اخيه قد تمت بتحريض ومساندة من زعماء العرب الذين كان هدفهم فيما يبدو اضعاف الاسرة الحاكمة في هرموز والتخلص من تحكمها في بلادهم (١٢٤) .

ان فترة حكم فخر الدين تورانشاه في هرموز تمثل بداية انحسار وضعف في نفوذ مملكة هرموز ، وتمثل ايضا انكماشاً في نفوذها على بلاد البحرين ، حتى انتهى الامر اخيرا الى استقلال تلك البلاد على يد احد بطون بني عامر وهم بنو جبر . وهذا ماسوف نتطرق اليه في الجزء الثاني من هذا البحث .

نهاية الامارة العصفورية

على الرغم من افتقارنا الى الحد الأدنى من المادة التاريخية التي من خلالها يمكن ان نتلمس طريقنا في ظلمة الغموض الذي يلف بلاد البحرين خلال الفترة التي نتصدى لكشفها ، الا أننا نمتلك بعض ادوات التصور لما نتوقع ان يكون قد حدث ببلاد البحرين ، مستهدين بضؤ الدراسات الاجتماعية التي نشرت والمتعلقة بقوى سياسية واجتماعية مماثلة في ظروفها الاقتصادية وبناءها الاجتماعي والتحولات التي مرت بها ، مع اوضاع الامارة العصفورية ، على الرغم من وجود التفاوت الزمني في احداثهما اذ انه مع الثبات النسبي لظروف التحولات الاجتماعية والسياسية ، يكون للتفاوت الزمني تأثير محدود (١٢٥) .

عند بحثنا في العلاقة ما بين بني عامر والعيونيين اشرفنا الى بروز تحول هام في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبني عامر . فبعد ان كانت وسائل انتاجهم الرئيسية ، التي يتساوون في الانتفاع بها تعتمد على المراعي ومصادر المياه وترفدها عمليات الغزو والتي يرافقها عادة السلب والنهب ، وكذلك ارغام قوافل الحج والتجارة على دفع الاتاوة لهم ، اصبحوا منذ القرن الثاني عشر يتغلغلون في أرياف بلاد البحرين وسواحلها ، فأمتلكوا المزارع والبساتين وعيون المياه والسفن البحرية ومغاصات اللؤلؤ . كما أخذت تبرز فيما بينهم افخاذ وبطون تلتف حول هذه الزعامة القبلية او تلك ، كما ان هذه الزعامات اخذ كل منها يقف بقوته العسكرية الى جانب احد الحكام العيونيين العديدين المتنافسين على السلطة ، وذلك كل حسب ما تمليه عليه مصالحه .

ان كل هذه الظواهر تعني بأن الاطار الاجتماعي الرعوى لبني عامر قد اخذ يتبدل ويتفكك . فبعد ان كانت الروابط الاجتماعية تدور حول الرابطة القبلية الواسعة اصبحت هذه الرابطة غير وثيقة ثم تلا ذلك تطور سياسي هام في حيات بني عامر ، فالضرورات الحربية الجديدة والنزاعات فيما بينهم والحرص على ضمان حماية وسائل انتاجهم ومصالحهم الجديدة قد ادى الى بروز سلطة سياسية اتخذت شكل الامارة التي اقامها الشيخ عصفور بن راشد شملت بلاد البحرين واجزاء من نجد وعمان .

ان نجاح قوة قبلية بتأسيس سلطة سياسية في بقعة يسودها الطابع القبلي ، يعني العمل على انهاء المساواة في الانتفاع بوسائل الانتاج على الاسس القبلية ، لانه من غير الممكن ايجاد الموازنة بين ادعاءات القوى القبلية

ومصلحة الاسرة الحاكمة الجديدة . فالدولة تعمل على توسيع سيطرتها الاقتصادية وتطوير الملكية الخاصة وتنشيط المصالح التجارية والفعاليات الاقتصادية المختلفة، وكذلك تنظيم استيفاء الضرائب وحماية المنتجين . كما انها من الجهة الاخرى ترفض الاعتراف للمجاميع العشائرية بحق الانتفاع واياها على قدم المساواة بكل ذلك، مما يؤدي في كثير من الاحيان الى حدوث النزاعات فعالة الشقاق العشائرية حالة ملازمة لمثل هذه المجتمعات ، لان كل مجموعة من البطون لاتعترف بحق اي مجموعة قرابية بان تنفرد دونها باحتكار السلطة والانتفاع بالموارد . اذ علينا الا نتوقع بان التحولات التي ادت الى قيام الامارة المصنورية في بلاد البحرين والتطورات الاجتماعية التي رافقت ذلك ، كانت قد مست بالتغير المجاميع العشائرية القرابية بشكل رئيس وانها دمرت كيائها الاجتماعي . فسلحها كان لايزال كامنا وموجودا ، الامر الذي يؤدي في بعض الاحيان الى تمرداها كلما شعرت بعدم انسجامها مع كيان الدولة . على انه يجب ان نستدرك ونقول بان المجاميع العشائرية من الافخاذ والبطون تعترف من الجهة الاخرى ، وفي أي مستوى اقتصادي واجتماعي كانت ، بارتباطها بمجموعات اوسع من خلال رابطة النسب الاكبر ، وبالاهمية الكبيرة للشيخ الذي يمثل وحدتها العسكرية ، على انه من الخطأ في تصوراتنا لطبيعة موقف السكان في بلاد البحرين من السلطة الحاكمة ، ان يقتصر حديثنا على بطون وافخاذ بني عامر ، علينا ان نبدي الملاحظات ايضا بخصوص طبيعة الروابط التي تربط فيما بين السكان المستقرين ثم بما يربطهم بالسلطة الحاكمة وطبيعة موقفهم منها

ان السكان المستقرين في بلاد البحرين سواء اكانوا في المدن والقرى والواحات ام على سواحل الخليج تربطهم روابط اقتصادية واجتماعية بالسكان القبليين ، فهم يتحولون من خلال الانصهار والاندماج البطيء الى وحدة كبيرة ذات صلة قريبي . على ان السكان المستقرين انفسهم من الجهة الاخرى - على الرغم من وجود الملكية الخاصة للارض وما ينتج عنها من تمايز في الثروة والمراتب الاجتماعية - يتحدون في روابطهم ويتكثرون بحسب المدن والاحياء والقرى ، ويثور بينهم النزاع على اساس هذه التكتلات . كما انهم قد يتكثرون في قوتهم البشرية والمادية بحيث يصبحون من القوة في بعض الفترات بالشكل الذي يمكنهم من السيطرة على القبائل المحيطة بهم ، او يقيمون تحالفات معهم .

على ان الملاحظة الاخرى الجديرة بالاشارة بخصوص السكان المستقرين، هي ان ضروب النشاط الاقتصادي المختلفة التي يمارسونها تتطلب توافر

الأمن والاستقرار ، اذ بدون ذلك لا يمكن للنشاط الاقتصادي ان يزدهر ، لذا فهم يساندون الحكم الذي يحقق لهم ذلك ، فمصلحتهم الخاصة اذا ذات صلة بمصلحة السلطة السياسية القهرية . وكثيراً ما تلجأ الأسرة الحاكمة الى توثيق صلتها بقطاعات السكان المختلفة وتدعيم مركزها بينهم ، عن طريق المصاهرات المتعددة الجوانب .

على انه يجب الا يغيب عن بالنا في ان طوائف السكان المستقرين يتباينون في درجة ولائهم للسلطة ، فاذا كان من السهل اضطهاد الفلاحين واستغلالهم من قبل الأسرة الحاكمة نظراً لارتباط نشاطهم الاقتصادي بالملكيات الزراعية الثابتة ، فان طوائف التجار والصناع تتميز ولاءاتهم عموماً بعدم الثبات ، اذ كثيراً ما يلجأون الى تبديلها تبعاً لموازين القوى ومصالحهم الخاصة . فأي تبديل في خطوط المواصلات التجارية او زيادة كبيرة في الضرائب التي يفرضها الحاكم عليهم ، او بروز هيمنة لقوى جديدة منافسة في منطقة اخرى داخل البلاد او خارجها ، كل ذلك يحملهم على تبديل في مواقفهم ويتمثل في اخذهم اموالهم ورحيلهم ، ما نحين ولأهم لمركز القوى الجديد . فهم بذلك يشبهون الجنود الاجراء والعبيد الذين يهجرون اسيادهم عندما يضعفون . كما انهم من الجهة الاخرى بعكس البدو في ولائهم ، اذ ان الآخرين يبقى ولاؤهم ثابتاً نسبياً لقبيلتهم ولا يمنحون ولائهم لاية قوة على حساب ولائهم لقبيلتهم .

وبما ان احدى مصادر الثروة الرئيسة في بلاد البحرين تعتمد على النشاط التجاري وما يجلبه من فوائد من خارج البلاد ، كان على حكامها - من اجل الثروة - ان يتنافسوا من أجل السكان مثلما يتنافسون من أجل الارض . ففي السياسة في بلاد البحرين لابد ان يعطى للسكان بالغ الاهمية لانهم مصدر ثروة البلاد .

لاشك بان التصور الذي قدمناه سوف يساعدنا الى حد ما في تفهم التفاعلات والتحولات والصراعات التي كانت تحدث في بلاد البحرين في ظل الامارة العصفورية والتي أدت في النهاية الى التفكك السياسي والانحلال ثم الى زوال سلطتهم من البلاد . وما بقي لدينا الا ان نستعرض ما توفر لدينا من مادة تاريخية شحيحة .

ان الذي نميل اليه هو ان الشيخ عصفور بن راشد خلال جهوده لانتزاع السلطة من العيويين والسلغريين والفترة التي اعقبتها ، كان قد كسب الى حد كبير تأييد ومؤازرة قطاعات عديدة من السكان المستقرين بالاضافة الى معظم بطون وافخاذ بني عامر واستطاع ان يلفهم حول حكمة . والذي يبدو

لنا ايضا ان الشيخ عصفورا كان قد اشرك في السلطة بعض بطون بني عامر اضافة الى أسرته ، فعلى الرغم من انه كان قد وزع السلطة في بلاد البحرين واليمامة على اولاده ، فإنه قد اشرك الشيخ مانع بن علي بن ماجد بن عميرة في حكم البلاد ، كما انه كان قد اشرك قبل ذلك في السلطة الشيخ ابا عاصم بن سرحان بن محمد بن عميره . ومن المحتمل انه خلال النصف الثاني من القرن السابع/الثالث عشر ، لم تكن هناك نزاعات تذكر حول السلطة . الا انه خلال حكم اولاد الشيخ مانع بن عصفور في النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر ، انفجرت النزاعات حول السلطة ، فالقلقشندی ينقل لنا عن ابن فضل الله العمري وصفا لوضع بلاد البحرين خلال تلك الفترة ، حيث يقول بان (الامرة فيهم في اولاد مانع الى بقية امراء منهم وكبراء لهم ، وبلادهم ما بين العراق والحجاز ، ولهم قصور مبنية وأطام عليّة وريف غير متسع ، الى ما لهم من النعم والماشية ، والحاشية الفاشية ٠٠٠٠) ثم يضيف القول (الا ان الكلمة قد صارت بينهم شتى ، ولجماعة متفرقة (١٢٦) ثم ان ابن فضل الله العمري يورد لنا قائمة تتضمن اسماء عدد كبير من امراء بني عصفور اضافة الى اسماء امراء لعرب البصرة والبحرين من غير بني عصفور . وقد قسم هؤلاء الامراء الى ثلاث مراتب حسب أهمية نفوذهم السياسي والقبلي . وقد جعل في المرتبة الاولى من هؤلاء الامراء اثنين من اولاد الشيخ مانع بن عصفور ، وهم محمد وحسين . وقد ضمن هذه المرتبة اسماء نرجح ان يكونوا من امراء عرب البصرة ، وهم صدقة بن ابراهيم بن ابي دلف وعلي بن منصور .

اما المرتبة الثانية ، فقد ورد فيها اثنان من اولاد الشيخ مانع بن راشد وهم بدران وراشد ، اضافة الى مانع بن بدران ، وكلبي بن ماجد بن بدران ومانع بن علي ، كما تضمنت هذه المرتبة اسماء يبدو انها من امراء عرب البصرة والبادية ، وهم رومي بن ابي دلفوزين ابن قاسم ويوسف بن قاسم وسعيد بن معدى وعيسى بن عرفة وظالم بن مجاشع واسماعيل بن صواري . واخيرا تأتي اسماء امراء المرتبة الثالثة ونجد من بينهم عددا من اولاد الشيخ مانع بن عصفور واحفاده وهم زيد بن مانع وحسن بن عظيم بن مانع رهلل بن يحيى بن معمر بن مانع وموسى بن ابي الحسين ومحمد بن خليفة . ولقد ورد ضمن قائمة امراء المرتبة الثالثة سعد بن مغامس (١٢٧) وهو من امراء البحرين وسوف نشير الى دورة في الاحداث في حينه .

يتضح لنا من القائمة السالفة كثرة امراء بني عامر المنحدرين من نسل الشيخ مانع بن عصفور بن راشد وتعدد مراتبهم واهميتهم . الا انه من المؤسف حقا ان ابن فضل الله العمري لم يعطنا تفاصيل اكثر عن مركز كل واحد منهم في السلطة والمناطق التي يسود فيها نفوذه ونوع العلاقات

القائمة بينهم . والواقع فإن عدم وجود المبدأ الوراثي الثابت لتولية المشيخة ربما يكن خلف كثرة امرائهم وتعدد مشاحناتهم . فالأمير في مثل هذه الكيانات يخلفه ابنه وربما عمه او ابن اخيه ، وهذا يعتمد على القابلية الشخصية لكل فرد من افراد البيت الحاكم و على عدد المنضوين تحت لواءه من عشيرته واتباعه . كما ان يمين الولاء الذي يؤديه افراد الاسرة الحاكمه والوجوه والاعيان للحاكم ، ماهو في الواقع الا اتفاق يمكن فسحه ، فليس له من قوة او قدسية . لذا فعلى الحاكم في ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية ان يلجأ الى استخدام الاجراء والعبيد لحراسته لكي يشعر بالأمان اذ انهم اكثر اطاعة له ، فلا ينظرون اليه على انهم على قدم المساواة معه ، مثلما ينظر اليه افراد أسرته وعشيرته الذين يطالبونه باشراكهم في السلطة والسمعة والثروة . فالظروف المشار اليها تدفع الأمير اذا لتكوين هذه القوة الخاصة ذات التركيب الاجتماعي المقطوع الجذور او الضعيف الالتصاق بالواقع القبلي السائد ، مما يسهل عليه استخدامها في حفظ الامن وجمع الضرائب فهم خدام الشيخ او رجاله (رجايل الشيخ) الذي يحيطون به ويحمونه .

كما ان لجوء الامراء العصفوريين الى اتخاذ المبان المحصنة مستقرا لهم ولحاشيتهم - وان كان ذلك يدل على تحول اجتماعي في حياتهم - ما هو في الواقع الا تعبير على عدم شعورهم بالامان من خصومهم السياسيين ، فأحتاطوا لانفسهم بالسكن في القصور والحصون . وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمري في نصه السابق ، عندما وصف حياتهم بقوله « ... ولهم قصور مبنية واطام عليه ... والحاشية الفاشيه ... » .

والواقع فإن عملية تكوين السلطة السياسية تعتمد على التطور الحاصل في الاداة الوحيدة للقوة ، وهي القوة العسكرية ، ولم تظهر سلطة سياسية بدون ظهور قوة عسكرية الى جانبها . على ان التركيب الاجتماعي للقوة العسكرية ما هو الا نتاج البيئة الاقتصادية والاجتماعية اي المادة البشرية مع بنائها الثقافي وتركيبها الاجتماعي ومفاهيمها .

على انه يجدر بنا ونحن نستعرض عوامل تفكك السلطة السياسية لامارة العصفوريين ان نشير الى اثر القوة السياسية الخارجية . اذ ان ظهور القوى البحرية التجارية في مياه الخليج العربي كالتطبيين في مقاطعة فارس وجزيرة قيس وكذلك مملكة هرموز ، ربما لعبت ادوارا رئيسة في هذا الخصوص . فالتنافس بين امراء بني عصفور حول السلطة وخشية بعضهم من بعض ربما دفعهم الى التسابق في طلب الدعم الخارجي من هذه القوى التي سوف ترحب

بالتأكيد بمثل هذا الطلب لبسط نفوذها على بلاد البحرين . كما انه لا بد ان نشير بان تحكم هذه القوى البحرية في تجارة الخليج العربي هو مصدر تهديد خطر لكيان بلاد البحرين ولازدهار اقتصادها فيما اذا لم يتم حكامها علاقة سياسية مع هذه القوى تلك العلاقة التي انتهت في احيان كثيرة الى اخضاع البلاد الى نوع من التبعية الاقتصادية والسياسية . ولعل فيما مر بنا ما يغنى عن اعادة التوضيح .

بقي علينا ان نناقش تأريخ زوال امارة المصفرورين وان نتحدث عن القوى التي تم على يديها ذلك ، والفترة الزمنية لوقوعه .
ان ما نملكه بهذا الخصوص هو نص واحد اورده ابن حجر المستقلاني نستشف منه امورا كثيرة ، فعندما ترجم ابن حجر لابراهيم بن جروان قال عنه (ابراهيم بن ناصر بن جروان المالكى من بني مالك بطن من قريش ، صاحب القطف ، انتزع جده جروان الملك من سعيد بن مغماس بن سليمان بن رميته القرمطي في سنة ٧٠٥ ، وحكم في بلاد البحرين كلها ، ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه ، ثم قام ابراهيم مقام ابيه ، وكان موجودا في العشرين وثمانين مائة ، وهم من كبار الروافض) (١٢٨) .

ان هذا النص لم نثر على ما يؤيده او ينفيه او يصححه ، وقد اعتمده بعض المعاصرين ممن مروا بتاريخ هذه الفترة مرورا عابرا ، وقبلوه بدون ادنى تمحيص لأفتقارهم الى ادوات تجريحه . على اننا سوف نقف امامه وقفة طويلة ، وسوف ينصب نقدنا اساسا على التواريخ التي تضمنها النص .

على الرغم من ان ابن حجر في هذا النص لا يشير بشكل مباشر الى ما يتعلق بأمارة المصفرورين الا انه يفيدنا بهذا الخصوص . فهو يورد بأن جروان قد انتزع بلاد البحرين من سعيد بن مغماس عام ٧٠٥/١٣٠٥ - ١٣٠٦ ، ومعنى ذلك ان سعيد بن مغماس كان قد انتزع تلك البلاد او جزءا منها من المصفرورين . فمن يكن سعيد بن مغماس هذا ؟ يمكن ان نطرح ثلاثة احتمالات بهذا الخصوص ، الاحتمال الاول يستند الى قائمة اسماء امراء بلاد البحرين خلال النصف الاول من القرن الثامن/الرابع عشر التي اوردها ابن فضل الله العمري وذكرناها سابقا ، اذ نجد من بين الاسماء اسم سعد بن مغماس فهل ان سعدا هذا ما هو في الحقيقة الا سعيد بن مغماس بن سليمان بن رميته الذي اورد ذكره ابن حجر ، او انه اخ له ؟ انه من الصعوبة الاجابة على مثل هذا الاحتمال . اما الاحتمال الثاني فهو ان يكون سعيد بن مغماس من احفاد شريف مكة ابي نسي ، اذ تشير

مصادرنا الى ان قسما من هؤلاء قد استقروا في العراق ومارسوا نفوذا سياسيا واجتماعيا ودينيا واسما فيه خلال القرن الثامن/الرابع عشر ، (المهدين الايلخاني والجلاليري) ، ولعل الدور الذي لعبه الشريف احمد بن الشريف رميشه بن ابي نمى في وسط وجنوبي العراق خلال هذه الفترة خيسر مثال على ذلك . كما انه يرد ذكر اكثر من شخص من احفاده في العراق ممن يحمل اسم مغامس . (١٢٩) والذي يهمننا من بين هؤلاء هو السيد مغامس الذي ذكر ابن عنبه (ت ٨١٢) بأنه من ابناء الشريف رميشه بن ابي نمى (ت ٧٤٦) المقيمين في العراق ، وقد يكون السيد مغامس هذا حفيدا للشريف رميشه . ولقد اضاف ابن عنبه قائلا بأن للسيد مغامس عقب (١٣٠) ، ثم سكت دون ان يصرح باسم احد منهم . والسؤال الذي يطرح نفسه هو ، هل ان سعيد بن مغامس الذي ورد ذكره في نص ابن حجر هو من ابناء مغامس المنحدر من الشريف رميشه ؟ واذا كان كذلك فكيف تسنى له ذلك ؟ للأجابة على ذلك هناك احتمالين ، اما ان يكون السيد مغامس او ولده سعيد قد انتقلوا من العراق الى بلاد البحرين فاصبح لهم نفوذا ومنزلة كبيرتين نظرا لانتمائهم العائلي ، الأمر الذي مكنهم من انتزاع السلطة من العصفوريين . او ان سعيد بن مغامس كان قد استعان في الاستيلاء على السلطة في بلاد البحرين ببعض قبائل جنوبي العراق ، وربما قد تم ذلك بتوجيه وتشجيع من الجلاليريين الذين لهم الحكم في العراق وايران . الا ان سلطة سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميشه هذا لم تدم طويلا لاحتمال ان تكون القوى الخارجية التي استعان بها قد انفضت ممن حوله نظرا لطبيعتها القبلية ، مما مكن جروان من انتزاع السلطة من يديه بالاستعانة بنفوذه داخل الاحساء . ان مما يعزز هذا الاحتمال في كون سعيد بن مغامس من ذرية الشريف رميشه هو اولا ان ابن حجر قد وصفه بالقرمطي ولايد ان يكون المقصود بذلك انه شيعي المذهب ، اذ لا يوجد للقرامطة في بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمي الى احدى عشائر بني عقيل التي قبائل جنوبي العراق وخصوصا البصرة وبين قبائل البحرين ، ولعل تعاونهم معا ضد جيوش تيمورلنك عندما غزت البصرة خير شاهد على ذلك ، وقد مر ذكرها . ثالثا هو ما اورده العصامي من وجود اقرباء الشريف مكه في الحسا حتى القرن العاشر / السادس عشر (١٣١) .

اما الاحتمال الثالث ، فهو ان يكون صالح بن جولان الذي سبق وان ذكرنا بأنه قد قاوم جيوش تيمورلنك عند هجومها على البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٥ والذي يوصف بأنه صاحب البصرة والبحرين هو الذي انتزع بلاد البحرين من بني عصفور وانه ينتمي الى احدى عشائر بني عقيل التي

تقيم في منطقة البصرة (بنو مالك ، عباده ، خفاجة) او انه من امراء بني عصفور في البحرين وقد مد نفوذه الى البصرة واقام فيها . وعين سعيد بن مغماس نائبا عنه في بلاد البحرين ، وان سعيد هذا قد انتهى بنهاية صالح بن جولان امام يتمورلنك .

او ان يكون سعيد بن مغماس قد استولى على بلاد البحرين منتهزاً الهزيمة التي منى بها صالح بن جولان صاحب البصرة والبحرين بعد ذلك امام جيوش تيمورلنك . ان هذا الامر لا يتعارض وصلة القرابة التي من المحتمل انها تربط سعيد بن مغماس بشريف مكة رميته ، كما ان الاحتمال الثالث الذي ذكرناه انفا متداخل مع الاحتمال الثاني .

اما النقطة الاهم في نص ابن حجر فهي التواريخ التي اوردها اذ هي ملفته للنظر وتحتاج الى مناقشه . فالتواريخ الذي اورده ابن حجر كبداية لقيام حكومة جروان في بلاد البحرين هو عام ٧٠٥ / ١٣٠٥ - ٦ . اما تاريخ بداية حكومة سعيد بن مغماس فكان في مطلع القرن الثامن / الرابع عشر بحسب ما ذكره الشيخ محمد العبد القادر (١٣٢) . ان التواريخ الانفة الذكر لا يمكن القبول بصحتها للأسباب التالية .

اولا / - ان ابن فضل الله العمري الذي عاش في النصف الاول من القرن الثامن / الرابع عشر ، وكان معاصرا لما يرويه قد ذكر بان بلاد البحرين تحكم من قبل اولاد مانع بن عصفور ، وان دارهم الاحساء والقطيف وملح وانطاع والقرعاء واللاهابة والجود ومتالع (١٣٣) .

ثانيا / - ان القائمة التي اوردها ابن فضل الله العمري لامراء بلاد البحرين في النصف الاول من القرن الثامن / الرابع عشر ، صريحة في ان الحكم في تلك البلاد هو بيد اولاد مانع وليس هناك من ذكر لجروان او اولاده

ثالثا / - اذا كان ما افترضناه من ان سعد بن مغماس الذي ورد ذكره عند

ان فضل الله العمري ، ما هو الا سعيد بن مغماس بن سليمان بن رميثة الذي ورد في نص ابن حجر فاننا نجد ان اسمه ياتي ضمن امراء المرتبة الثالثة ، ومعنى ذلك انه ذو نفوذ سياسي محدود جدا اذ لا يمكن ان يكون حاكم بلاد البحرين ، خلال هذه الفترة ويوضع في هذه المرتبة . اما اذا سلمنا بان سعيد بن مغماس ما هو الاحفيد شريف مكة رميثة المتوفي سنة ٧٤٦ / ١٣٤٥-٤٦ فمن المستبعد ان يكون الحفيد قد برز الى الوجود في مطلع القرن الثامن / الرابع عشر

رابعاً / - ان الاحداث التي وقعت في بلاد البحرين في عهد توران شاه وورد ذكرها في الشاهنامه تشير الى ان زعيم بني عصفور في جزيرة البحرين هو الشيخ احمد بن راشد وان حاكم القطيف هو من اقربائه ايضا وهو الشيخ ماجد . وان هذه الوقائع قد حدثت في النصف الثاني من القرن الثامن / الرابع عشر ، وقد حددنا وقوعها بشكل تقريبي في العقد السادس او السابع من ذلك القرن فاين ذكر بني جروان ان كانوا يحكمون جميع بلاد البحرين حسب ما اورده ابن حجر ؟ بل الذي تفيدته هذه النصوص التي اشرنا اليها هو ان حكم بني عصفور لا يزال قائماً في بلاد البحرين في هذه الفترة .

خامساً / - ان ابن حجر قد حدد بداية قيام حكومة جروان بعام ٧٠٥ وان ولده ناصراً قد اعقبه في الحكم ثم حفيده ابراهيم ، وقد وصف ابن حجر ابراهيم هذا بانه لا يزال يحكم في القطيف عام ١٤١٧/٨٢٠ ومعنى ذلك ان ثلاثة حكام منهم قد حكموا بالتعاقب لمدة تزيد على ١١٠ سنوات ، وان ثالث هؤلاء الحكام كان لا يزال يحكم في البلاد في عام ١٤١٧/٨٢٠ ، فيكون بذلك معدل حكم كل واحد منهم يقارب الاربعين عاماً . الامر الذي يصعب قبوله لانه من الامور القليلة الوقوع في مناطق واسعة من العالم ، فكيف الحال في بلاد البحرين التي يكثر فيها الاضطراب ويتدنى فيها المستوى الصحي .

سادساً / - ان ابن عنبه ينقل رواية عن استاذة ابن معيه الحسيني (ت ٧٧٦) بخصوص اعقاب موسي الجون الذين يقال لهم الاخيزريون ، بقوله انهم في اليمامة بالف فارس وهم مع عامر (١٢٤) . ان تخصيص دخول الاخيزريين مع عامر يدل على ان بني عامر كانوا لا يزالون حتى ذلك التاريخ هم اصحاب المصولة والجولة في بلاد اليمامة ايضا .

سابعاً / - سبق ان ذكرنا بان صالح بن جولان الذي قاوم ببسالة هجوم جيش تيمورلنك على البصرة عام ١٣٩٣/٧٩٥ ، وقد وصفته المصادر بانه صاحب البصرة والبحرين ، ومعنى ذلك انه الحاكم فيها ، ومن بين من ذكر ذلك ابن حجر نفسه ، ومعنى ذلك انه قد ناقض نفسه في نصين مختلفين ، اذ كيف يحكم اولاد جروان بلاد البحرين في الوقت الذي هي تحكم من قبل صالح بن جولان ؟ يتضح مما اورده من اعتراضات بانها كافية لتفنيد التاريخ الذي اورده

محمد العبد القادر حول تاريخ استيلاء سعيد بن مغامس على السلطة في بلاد البحرين ، وكذلك ما اورده ابن حجر حول تاريخ قيام حكومة جروان . لذا لا بد ان يكون هذا التاريخ خطأ وقد يكون مصدر هذا الخطأ ان تحريفا او سهوا قد وقع في هذا التاريخ اما في اصل كتاب ابن حجر او في المطبوع منه ، وقد يكون هناك رقم قد وقع من الوسيط ما بين الرقم الاول والثالث وحل محله الصفر . بقي اذا ان نعرف التاريخ التقريبي لزوال حكم العصفوريين من بلاد البحرين . ان اعطاء رقم محدد لذلك ليس بالامر الهين ما دامت مصادرنا ضئيلة علينا . والذي نراه ان حكم العصفوريين في بلاد البحرين قد امتد لمدة تقارب من القرن ونصف القرن ، وان زوال حكمهم قد تم في العقد الثامن او التاسع من القرن الثامن/الرابع عشر ، وقد يكون ذلك مرتبطا بالاضطراب الذي عم منطقة الخليج العربي ، والشرق بظهور تيمورلنك . ان تواريخ ٧٧٥ أو ٧٨٥ وحتى ٧٩٠ هي تواريخ مقاربه لذلك . واخيرا ونحن بصدد ذكر اماره جروان من المفيد ان نسجل بعض الملاحظات وهي . . **اولا :** اننا لانرى بأن جروان ينتسب الى بني مالك القرشيين كما ذكر ابن حجر بل الذي نراه هو انهم من بني مالك احد بطول عبد القيس . ويبدو ان محمد العبد القادر قد حاول ان يصلح الخطأ الذي وقع فيه ابن حجر ، عند ما ذكر بان جروان من بني مالك بن عامر ، وكلا البطنيين هم من عبد القيس . ومما هو جدير بالذكر هنا بان ابن مقرب العيوني كان قد ذكر في شعره مرارا اسم ابراهيم بن عبد الله بن جروان معاتبا اياه او مادحا له وكان ابراهيم هذا احد اثرياء الاحساء ووجهائها ومعاصر القيام اماره العصفوريين . فهل ان جروان الذي نجح في تأسيس سلطة سياسيه في بلاد البحرين هو من ذريته ؟ واذا كان كذلك فلا بد ان فوزه في السلطة قد تم نتيجة لتحالف بعض البطون والاحياء في ارياف بلاد البحرين وهذا ما المحنا اليه سابقا من ان زعماء السكان المستقرين في الارياف ربما يكون لهم من القوة بحيث يستطيعون فرض سيطرتهم على مناطق واسعة ، وان الاثرياء في بلاد البحرين لهم من النفوذ والاتباع الذين يدينون لهم بالتبعية الاقتصادية ما يقارب نفوذ الشيوخ والحكام .

ثانيا :- ان اماره جروان لا بد ان تكون قد خضعت هي الاخرى لتبعية مملكة هرموز وان حكمها لم يشمل جزيرة البحرين . فالنصوص التي اوردها السنخاوي تشير الى ان فيروز شاه الذي قد انتهى حكمه عام ٨١٩ / ١٤١٧ كان ملكا لهرموز والبحرين والحساء والقطيف . كما ان ولده سيف الدين بهار الذي اعقبه في الحكم وانتهى حكمه عام ٨٤٠ / ١٤٣٦ قد قال عنه جعفري بأنه كان قد ارسل بالحكام من قبله لكل من القطيف والبحرين .

ثالثا / - ان بني عصفور خاصة وبني عامر عامة وقد فقدوا سلطتهم السياسية

قد بقوا في بلاد البحرين محتفظين بنفوذهم الاقتصادي الواسع .
ولعل فيما ذكره السخاوي عند ترجمته لمحمد بن محمد العمري ،
من انه قد غادر الحجاز بعد انتهاء موسم الحج متوجها الى بلاد
العجم بصحبة قافلة بني عقيل سنة ٨٢٣/١٤٢٠ ، (١٢٥) يمكن
اعتبارها دليلا مهما على استمرار النشاط الاقتصادي لبني عامر -
الذين كثير ما يطلق عليهم بنو عقيل - وعلى انهم لا يزالون
يتمتعون بهيبه واحترام في جزيرة العرب ، خاصة ونحن نعرف
الاهمية التجارية لقافلة الحج وبأن من يتولى قيادتها لابد ان يكون
قادرا على حمايتها . ومن المحتمل انهم دفعوا ثمنا لبقائهم
بنقل ولائهم وقوتهم العسكرية الى خدمة القوة الجديدة ، متحينين
الفرصة المناسبة لاسترجاع مكانتهم السابقة . وقد تم لهم ذلك
اخيرا على يد احدى افخاذهم وهم بنو جبر اللذين استرجعوا
سلطة بني عامر على بلاد البحرين في حدود منتصف القرن
التاسع / الخامس عشر .

الهوامش

★ يقر كاتب البحث بأنه مدين بالشكر العميق للزميلين الاستاذ اسعد الكبيسي والدكتور محمد وصفي ابومغلي مدرسي اللغة الفارسية في جامعة البصرة لما قدماء له من مساعدة في قراءة النصوص الفارسية وترجمتها . اما النصوص الفرنسية والالمانية فقد تفضل مشكورا الصديق الدكتور وست T-West مدرس الادب الاوربي المقارن في جامعة ايست انجليا بترجمتها الى اللغة الانكليزية بناء على طلب الكاتب . . .

(١) تحفة الالباب في تاريخ الاحساء ، مجلة العرب ج ٥-٦ (١٩٧٥) ص ٤٤٠-٧٢ خصوصا ص ٤٧١ .

(٢) احمد مصطفى ابو حاكمه ، صفحات مطوية من تاريخ الخليج والجزيرة العربية ، مجلة الدوحة مارت ١٩٧٦ ص ٨٠ - ٨١ .

(٣) كمثل على ما كتب بشكل متعيز ويتجاهل دور العرب في تاريخ الخليج العربي راجع عباس اقبال مطالعاتي درباب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس ، طهران ١٣٢٨ شمسي وقد كتب هذا البحث بطلب من الخارجية الايرانية ونشر بامر منها .

(٤) J. H. Stevens. Man and Environments in Eastern Saudi Arabia Arabian studies, I London (1974) 137-8 ed. R. B. Serjeant & R. I Bidwell

(٥) حول اهمية سفن العرب التجارية ودورها في حياة عربي الخليج راجع .

H. Yajima. The Arab Dhow Trade in the Indian Ocean, (Tokyo, 1976).

(٦) J. B. Kelley "Sovereignty and Jurisdiction in Eastern Arabia, International Affairs Vol. 34, I. 1959 PP. 16-24 esp. 17.

وللاطلاع على اثر القيم القبلية في قيام الكيانات السياسية في شرق الجزيرة العربية انظر .

P. Lienbardt. The Authority of Shaykhs in the Gulf Arabian Studies, II, (London 1975), 61-75

M. B. Rowton. Autonomy and Nomadism in Western Asia (٧ Orientalia, Vol. 42, Nova Series Fasc. 1. 2, Rome 1973) PP. 247-58 esp. 253-4.

لمن يريد من الباحثين ان يتعرف على الدراسات الاخرى لروتون عن القبائل ودورها في تاريخ العراق والبحرين منذ القدم حتى العصر الحديث عليه مراجعة الابحاث التالية لنفس الكاتب .

Urban Autonomy In a Nomadic Environment, J. of Near Eastern
Sts. No. 1 and 2 (1973) pp. 200-15, Enclosed Nomadism,
JESHO, Vol. x lll/1, PP.1-30.

(٨) حول عقيل ووطنها ومواطن سكناها راجع الحسن بن عبدالله الاصفهاني (ت حوالي ٣١٠) ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسروصالح احمد العلي ، (الرياض ، ١٩٦٨) ، ٣ - ١١ ، ابن حزم (ت ٤٥٦) **جمهرة انساب العرب** (القاهرة ١٩٦٢) ، ٢٩٠-٩٢ ، ٧٨٢ ، وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ج ٢ (بيروت ١٩٦٦) ، ٦٤٧-٤٩ ، ج ٦ (بيروت ١٩٦٨) ، ٢٤-٢٥ ، القلقشندي ، **نهاية الأدب في معرفة انساب العرب** (القاهرة ١٩٥٩) ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ٢٤٦ ، ٣٣٠ ، ٣٦٦ . نظرا لكثرة الاخطاء في هذه الطبعة يستحسن مقارنتها بالنسخة المطبوعة في بغداد عام ١٩٥٨ بتحقيق علي الخاقاني . راجع ايضا لنفس المؤلف **صبح الاعشى** (القاهرة ١٩١٤) ، ٢٠٤/٤ .

قلائد الجمان في التعريف بقيائل عرب الزمان (القاهرة ١٩٦٣) ٧٦-٧٧ ، ١١٩-٢١ ، عبدالستار الحسيني نظرات في نهاية الأرب للقلقشندي ، **مجلة البلاغ** ، ٦/٢ (١٩٧٦) ٦٣٠-٧١ ، خاشع المعاضيدي ، **دولة بني عقيل في الوصل** (بغداد ، ١٩٦٨) ، ٢٧-٣٠ .

H. C. Kay, Notes on the History of the Banu Okayl, JAS
Vol. XVIII, 1886, PP. 491-526.

لقد اعتمد كي في بحثه على ابن خلدون بشكل رئيسي
(٩) الاصفهاني ، بلاد العرب ، ٣-١١ .

G. Rentz, art. "Katif", EI²

١٠ الهمداني (ت ٩٤٥/٣٣٤ - ٤٦) **صفة جزيرة العرب** ، (القاهرة ١٩٥٣/١٣٧٣) ، ١٣٦-٣٧ ، ١٦٩ وكذلك انظر عبد الرحمن عبدالكريم النجم . **البحرين في صدر الاسلام** (بغداد ١٩٧٣) ، ٤١-٤٤ ، (١١) ابن الاثير ، **الكمال** (القاهرة ١٣٥٣) ٩٣/٦ ، **تاريخ ابن خلدون** ،

١٩٥/٤ ، ٢٨/٦ ، ٦٣ : ثابت بن سنان ، تاريخ اخبار القرامطة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ١٤ ، ٧١ ، ١١٠ .

(١٢) حول مجتمعات قرامطة البحرين هذه ، راجع ابن الاثير ح ٦ ، ج ٧ ، ابن خلدون ٩٤-١٨٨/٤ .

(١٣) انظر على سبيل المثال ابن خلدون ٢٥/٦ ، عبد الجبار ناجي ، الأمانة المزيديّة (البصرة ١٩٧٠ ٣٥-٤٢ ، الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، بغداد ١٩٦٨) ١٧٣-١٧٧ ، يذكر ابن الاثير ١٢٣/٧ ، انه في سنة ٣٧٤ تقلد ابو طريف عليان بن شمال الخفاجي حماية الكوفة وهي اول امانة بني شمال .

(١٤) ابن الاثير ١٣٦/٧ ، ١٦٥ ، ١٧٥ ، ٢٢٤ (في حوادث ٣٧٨ و ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٤) : ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٤/٧ ،

(١٥) تاريخ ابن خلدون ٦٤٧/٢ - ٤٨ ، ٢٤/٦ - ٢٥ .

(١٦) نفس المصدر ٢٨/٦ .

(١٧) ابن خلدون ٢٤/٦ - ٢٥ ، ٦٣ .

(١٨) يرد هذا الاسم في تاريخ ابن خلدون بصور ثلاث ، فتارة بني ابي الحسن (٦٤٨/٢) وتارة ابي الحسين الاصغر بن تغلب (٢٥/٦) واخرى بنو الاصغر بن تغلب (١٤٢/٦) ، وكذلك قلائد الجمان ، ١٢٠ . ولاشك ان المقصود بهذا هو الاسرة العيونية التي تنحدر من احد بطون عبد القيس اى ابناء محمد بن ابي الحسين بن عبدالله علي الميوني . كما انه من المحتمل ان بني الحسن ربما قصد بهم اولاد ابي الحسن علي بن مسمار زعيم عبدالقيس الذي انتزع منه القرامطة القطيف . الا ان هذا الاحتمال الاخير ضعيف ، انظر محمد عبدالله العبد القادر ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم ، (الرياض ١٩٦٠) ٢٥٦/١ ، صفة جزيرة العرب ، ١٣٦ . اما اطلاق اسم بنو الأصغر بن تغلب فهو نوع من التخليط ، اذ لانصرف ظهور اسرة بالبحرين بهذا الاسم وكل ما نعرفه استنادا الى ما ذكره ابن الاثير ، بان زعيم المنتفق المسمى الاصغر قد قام بمهاجمة البحرين عام ٩٨٨/٣٧٨ ونهب القطيف ونظرا لانتشار بني المنتفق ما بين البصرة والبحرين وغموض تاريخ البحرين حدث هذا التداخل في الاسماء والاحداث . راجع الكامل ح ٧ (القاهرة ١٣٥٣) ١٣٩ . اما الاصغر التغلبي الذي ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٤٣٩ في

رأس العين ، وجمع حوله اتباع كثيرين وادعى بأنه مرسل ، فقد
تم انهاء حركته هذا وقد ذكره ابن خلدون ايضا ١٩٦/٤ فلا نرى له
اية صلة بالبحرين .
(١٩) تاريخ ابن خلدون ٢٤/٦ - ٢٥ ، ٦٣ .

(٢٠) انظر قلائد الجمان ، ١٢١ .

(٢١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون (بيروت ١٩٦٨) ١٩٥/٤ - ٩٦ ،
القلقشندي ، نهاية الأرب ٩٦٦ ، قارن ذلك مع ما ورد في طبعة بغداد ،
٣٣٨ ، انظر ايضا القلقشندي ، قلائد الجمان ، ١١٩ - ١٢٠ .

(٢٢) ابن خلدون ١٩٥/٤ .

(٢٣) ابن الاثير ١٣٦ /٧ : قارن ذلك بما جاء في ابن الجوزي ، المنتظم
١٧٠/٧ .

(٢٤) ن . م ٣٢٥/٦ ، ٣٤٠ : ابن مسكويه ، (ت ٤٢١ / ، تجارب الامم ،
(القاهرة ، ١٩١٥) ح ١١٢/٢ ، ١٤٤ ابن الجوزي ، المنتظم
٣٦٨/٦ .

(٢٥) ن . م راجع ٦٥/٧ (حوادث ٣٨٤) ، ١٧٥ (حوادث ٣٨٥) ٢٢٤
(حوادث ٣٩٤) هذا وقد توفي الأصغر او الأصغر المنتفقي عام
١٤٠٩ او عام ٤١٠ انظر الكامل ٣٠٣ : تاريخ هلال الصابي ، ذيل على
تجارب الامم (القاهرة ، ١٩١٩) هامش ٣ ، ص ٤٠٩ .

(٢٦) سفرنامه (بيروت ٩٧٠) ، ١٤٥ ترجمة يحيى الخشاب .

(٢٧) محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية
(القاهرة ١٣٤٢ ط ٢) ٩٣ - ٩٤ كذلك انظر ، تحفة المستفيد .

(٢٨) التحفة النبهانية ، ٩٤ - ٩٥ ، تحفة المستفيد ، ٩٨/١ - ١٠٠ ،
٢٥٤ .

(٢٩)

J. M. de Goeje, *Lafin de Empire des Carmathes dus Bahrain*,
J. A. 1895, lx Serie, 1-30 Quoted in Caskel, *Eine*
Unbekannte Dynastie in Arabien " *Oriens*, 2, 1949, 66-71,
eap. 70.

ومما هو جدير بالذكر هنا ان عبدالفتاح الحلو الذي خفق ديوان

ابن المقرب لم يطلع عند تحقيقه الديوان على مخطوطة دى غويه
او على بحثه المذكور اعلاه . رحول نظام الحماية راجع .

CL. Cahen, art, "Himaya", El²

(٣٠) التحفة النبهانية ، ٩٦ - ٩٨ ، تحفة المستفيد ، ٩٨/١ - ١٠٠ ،
٢٥٩ - ٢٦٠ حميد بن رزيق ، الفتح المبين ، (القاهرة ١٩٧٧)
٢٣٨ - ٣٩ .

(٣١) ن . م وكذلك تحفة المستفيد ١٠١/١ ، ديوان ابن المقرب
(القاهرة ١٩٦٣) هامش ص ٥٣٣ .

(٣٢) المصدر السابق (القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ب . ت) ١٥٣/٨
ومما هو جدير بالذكر هنا ان ابن الاثير قال بان الرجل الذي حرض
زعيم بني عامر على مهاجمة البصرة قال له فيما قال (لقد فعل
اجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة في التواريخ .
ان هذا لدليل على ان بني عامر في ظل القرامطة كانوا يقومون
بهذا العمل راجع ايضا الذهبي/دول الاسلام (القاهرة ١٩٧٤)
١١/٢ .

ومما هو جدير بالذكر ان البرفسور بوزورث قد وصف هؤلاء المهاجمين
بأنهم قرامطة البحرين ، وهذا ما لم يقله ابن الاثير الذي كان مصدريه في
هذه الواقعة ، اذ ان القرامطة قد انتهى امرهم في تلك الجهات قبل هذا
التاريخ . اما اذا كان بوزورث قد قصد بأنهم كانوا على مذهب القرامطة

فهو امر يصعب قبوله ايضا . راجع .

C. E. Bosworth "The political dynastic history of the Iranians
World, 1000-1217" PP. 1-202, esp. 99.

in the Cambridge History of Iran, Vol. 5. Cambridge, 1968

(٣٣) جزيرة العرب في نزعة المشتاق تحقيق ابراهيم شوكة ، م . المجمع
العلمي العراقي م/٢١/١٩٧١ ص ٥٠ .

(٣٤) ديوان ابن المقرب ، ٦٤٦ - ٤٧ .

(٣٥) ديوان ابن المقرب ، ١١١ - ١١٢ ، هامش ص ٥٤٦ - ٤٧ انظر
كذلك . Caskel, Op. Cit. 70.

(٣٦) تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٣٠ الكامل ، ٢١٩/٩ : تحفة المستفيد ، ١٠٤ ،
- ١٣٠ -

(٣٧)
Quoted in M. B. Rowton, The Role of water Courses in the
Growth of Mesopotamian Civilization, **Alter Orient und
Altes Testament**. Bd. 7. 1969, 307-16.

- (٣٨) ديوان ابن المقرب ، ٢٠٢ .
(٣٩) تحفة المستفيد ٢٦٨
(٤٠) نفس المصدر ١٠٧ ، ٢٦٩ .
(٤١) ن . م . ، ١٠٧ - ٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ .
(٤٢) ديوان ابن المقرب ٤٥٦ - ٤٦٥ .
(٤٣) ديوان ابن المقرب ٦٣٨ - ٣٩ : تحفة المستفيد ، ٣١٣ .
(٤٤) الكتيب طرف الاحساء الجنوبي ، والعيون طرفها الشمالي .
المحاديث من ارض العيون وحلوان مكان بين الاحساء والقطيف .
(٤٥) الخط . هي القطيف . صفوان طرفها الشمالي ، الظهران طرفها
الجنوبي .
(٤٦) وامن شيء ، اوجعه . المروزان وكرزكان قرستان في جزيرة اوال .
٤٧ التحفة النبهانية، ٩٨ ، ديوان ابن المقرب، ٥٠٥ وللإطلاع على تفصيل
أكثر راجع تحفة المستفيد ١٠١/١ ، ١٠٨ - ٩ ، ٢٥٣ .
(٤٨) صفة بلاد اليمن او تاريخ المستبصر ، ٣٠١ .
(٤٩) تحفة المستفيد ١١٢ - ١١٤ . ديوان ابن المقرب ٦٣١ - ٦٤١ .
(٥٠) تحفة المستفيد ١١٣ ، ١١٦ - ١٨ ، ٢٥٣ .
(٥١) ن . م . ١١٨ .
٥٢ حول هذا المخطوط انظر تحفة المستفيد ملحق رقم ٣ ، ٢٥٠ - ٥٤ .
خصوصا صفحة ٢٥٣ .
(٥٣) ابن الجاور ، صفة بلاد اليمن او تاريخ المستبصر ، (ليدن ١٩٥١)
ص ٢٨٨ .
(٥٤) حول حياة منجم باشي ومؤلفاته راجع .
S. A. Hasan, Munejjim Bashi, Turkish Historian of the Sljugids
of Iran, Islamic Studies, Vol. 2, (1963) PP. 457-66.

(٥٥) احمد افندى الملقب منجم باشي ، جامع الدول (مخطوط) ، ٤١٨ ،
(المكتبة السليمانية) ، مجموعة اسعد افندى الرقم ٢١٠١ -
للورقة ٦٤٧ .

(٥٦) تعفة المستفيد (ملحق ٣) ٣٥٣ .

(٥٧) وصاف الحضرة عبدالله بن فضل الله الشيرازي ، تاريخ وصاف المسمى
تجزية الامصار وتزجية الاعصار (بوبي ١٢٦٩) اعيد طبعه في
طهران ١٣٣٨ (جلد دوم ، ١٧٩ .

(٥٨) ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي - كتاب الجغرافيا -
(بيروت ، ١٩٧٠ ، ١٨-١٣١ .

(٥٩) تاريخ ابن خلدون ٤/١٩٦-٩٧ ، قلائد الجمان ، ٢٠ ، نهاية الأرب
١٠٦ .

(٦٠) صبح الاعشى (القاهرة ١٩١٥) ٦٠/٥ .

(٦١) تاريخ ابن خلدون ٢/٦٤٨-٤٩ ، ٢٥/٦ ، قلائد الجمان ، ١٢١ : نهاية
الأرب ، ٣٣ .

(٦٢) المصدر السابق ٢٥/٦ .

* لقد استعمل الشيخ النبهاني تسمية الزنجيين لاتابكة فارس بدلا من
الاسم الشائع في المصادر التاريخية وهو السلفريون نسبة لجدهم سلفر
التركمانى الذى كان حاجبا لسلطان السلاجقة في العراق طغرل الاول .
ولقد تابع النبهاني في تسميته هذه من نقل عنه دون ادنى تمحيص . بل
ان هذه التسمية قد ادت بالبعض من هؤلاء الى الوقوع في خطأ شنيع ،
اذ تصوروا ان السلفريين هم من الزنج الذين كانوا قد ثاروا في جنوب
العراق وحكموا البصرة في النصف الثاني من القرن الثالث / القرن
التاسع .

(٦٣) تعفة المستفيد (ملحق ٣) ٢٥٣ ، وصاف ، جلد اول ١٧٦-٧٧ قاضي
احمد غفاري قزويني ، تاريخ جهان ارا (تهران ١٣٤٣ شمسي) ،
١٢٦-٢٧ . ومن الجدير بالذكر ان القاضي غفاري قد ذكر اسم
جمشيد كأخرى ملوك بني قيصر وتابعه في ذلك منجم باشي الورقة
٦٤٦ ، وهذا يخالف ما ذكره وصاف الحضرة الذى لمعلوماته عن بني
قيصر اهمية خاصة . لذا رجعت روايته : عباس اقبال ، المصدر
السابق ، ٣٣ انظر ايضا

Jean Aubin, Les Princes D' Ormuz Du XIII^e Au XV^e Siecle,
Journal Asiatique, Vol. 241 (1953), PP. 77-137, esp. 81.

(٦٤) تعفة المستفيد ، ٢٥٣ ومن الجدير بالذكر هنا ان اسم امير هرموز

يرد في المصادر بصورة متعددة فتارة سيف الدين ابو المظفر وتارة
ابو نصر وتارة اخرى ابو النظر او ابو النظر .

٦٥ اثار البلاد (بيروت ١٩٦٩) ٢٤٣ ، تاريخ جهان ارا ١٢٦-٢٧ ،
جامع الدول ، ورقة ٦٤٦ ب - ٦٤٧ - عباس اقبال ٣٣-٣٤ .

Aubin, Op. Cit. 18

ومما هو جدير بالذكر هنا انه في عام ٦٣٢/١٢٣٤-٣٥ ، كان قد وصل
بغداد كل من امير البحرين محمد بن محمد عن طريق البر ، وامير هرموز
(ابو النظر) عن طريق نهر دجلة ومعهم عدد كبير من الاتباع . ولا بد ان
يكون حضورهما لغرض الحصول على الدعم المادي والادبي من الخليفة المستنصر
ضد الاتابك ابو بكر السلفري وضد العصفوريين راجع ابن ابي الحديد ،
شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٣٢٩ . مجلد ٤ ص ٤١ .

٦٦ تحفة المستفيد ٢٥٣-٢٥٤

٦٧ تحفة المستفيد ٢٥ ، وصاف ، جلد دوم ١٧٩ ، عباس اقبال ٣٤-٣٥ ،
التحفة النبهانية ، ٩٩-١٠٠ اراجع ايضا

Rentz & Mulligan, art, "al-Bahrayn", El², Aubin, Op. Cit, 81.

٦٨ وصاف ، ١٧٩ .

٦٩ Ata-Malik Juvaini, The history of the World Conqueror,
Translated by J.A. Boyle (Manchester 1958),
Vol. 1, 234,

وايضا ، منجم باشيء المصدر السابق ورقة ٦٤٧

٧٠ وصاف ، جلد دوم ١٧٩ .

٧١ وصاف ، جلد دوم ١٧٩ ، تاريخ جهان ارا ١٢٦-٢٧ جامع الدول ،

ورقة ٦٤٦ - ٤٧ ، عباس اقبال ، ٣٥ . لقد ذكر رنتز بان عام

١٢٥٣/٦٥١ هو تاريخ انسحاب السلفريين من جزيرة البحرين

واستقلال العصفوريين بها وهو بذلك يكون قد اعتمد على مارواه

ابن سعيد المغربي . راجع . art, "al-Bahrayn" El² .

٧٢ راجع رواية ابن خلدون في السابقة .

٧٣ حمد الله مستوفي قزويني ، تاريخ كزيده نشرة براون (لندن

١٩١٠) ، ٥٠٧ ، حاجي خليفة (كاتب جليبي) فذلكه اقوال الاخبار في

علم التاريخ والاخبار . مكتبة بايزيد ، مخطوط رقم (١٠٣١٨) ورقة

١٣٨ .

(٧٤) حول النقود في الخليج العربي ، في العصر الوسيط راجع :
Nicholas M. Lowick, Trade Patterns on the
Persian Gulf in the light of Recent Coin Evidence” In
Near Eastern Numismatic, Iconography, Epigraphy and
History, ed Dickrank Kouy mijian—319-33, (Beirut, 1974.)

(٧٥) للاطلاع على الدراسات الحديثة المتعلقة بأل فضل .
د . جعفر خصباك ، المصدر السابق ، ١٦٨-٧٧ ، د . محمد صالح
القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (النجف
١٩٧٠) ، ٤٣-٣٢٦ . د . مصطفى الحباري ، الإمارة الطائفة في بلاد الشام
(عمان ، ١٩٧٧) ، واخيراً فايد حمادي عاشور ، العلاقات السياسية بين
المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى (القاهرة ١٩٧٦) .

(٧٦) نهاية الأرب ، ١٠٦ .

(٧٧) محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢/١٢٩٣) تشريف الايام والعصور
في سيرة الملك المنصور (القاهرة ١٩٦١) ، ١١١ .

Yajima, The Arab Dhuw Trade, 12. (٧٨)

Pani-nan Rashid Wa, (٧٩)

The Fall of Baghdad and the Mongol Rule in Al-Iraq,
1258-1335 Unpublished Dissertaton for Ph. D. Univ. of
Utah, 1974, 133-34.

لقد اعتمد المؤلف الصيني رشيد وو كثيراً على كتاب الاستاذ جعفر
خصباك ونقل عنه معظم افكاره وسايره في تبويب اطروحتة . الا انه مما
يميز هذه الاطروحة ان المؤلف قد استعمل المصادر الصينية في كتابة
تاريخ العراق واثار قضايا كثيرة كانت لحد الان من القضايا المسلم بها .
وقد رفض النكره الثائلة بان المغول قد دمروا الاقتصاد العراقي وموارده
ومنها مشاريع الري والتجارة الخارجية . وفي مكتبتي نسخة مصورة من
هذه الاطروحة .

(٨٠) لمقريري (ت ٨٤٥/١٤٤١) السلوك في معرفة دول الملوك
(القاهرة ، ١٩٦٨) ، ٧٤٢/١ .

Subhi Labib “Egyption Commercial Policy In the Middle Age”
In Studies in the Economic History of the Middle East,
ed. M. A. Cook, (London, 1970), 63-77, esp. 69.

(٨١) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ٨١/٤
وابن عنبسة ، عمدة الطالب في انساب ابي طالب ، النجف
١٩٦١ ، ١٤٣ - ٤٤ المقيزي ، السلوك ، القاهرة ، ١٩٤٢ ،
٥٣٣/٢ .

(٨٢) المختصر في اخبار البشر ، ٨٣/٤ - ٤ .

(٨٣) المقيزي ، السلوك ، ٢١٤/١ - ١٥ .

(٨٤) عن القلقشندي ، نهاية الأرب ، ١٠٦ ، تحفة المستفيد ، ١١٩ . ومن
الجدير بالذكر هنا ان السيد توري عبد الحميد العاني قد خلط
بين زعيم المنتفق مانع بن شبيب وبين زعيم بني عامر مانع بن عصفور
لذا فقد فسر قول العمري « بان الامر في اولاد مانع على ان
المقصود به مانع شيخ المنتفق وبانه اشارة الى حكام البصرة وهذا
خطأ » . راجع العراق في العهد الجلايري ، رسالة ماجستير
غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ .

(٨٥) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة القاهرة
١٩٦٧ ، ١٩٧٨/٥ .

(٨٦) ن . م . القاهرة ، ١٩٦٦ ، ٣٥٤/٣ .

(٨٧) المهنداد ، كلمة فارسية الاصل تتكون من مقطعين الاول مهن
ومناها الضيف ، والثاني دار وتعني الشخص الذي يستقبل الضيف .

(٨٨) راجع حول ذلك ، صبح الاعشى ، القاهرة . ١٩١٥ . ٤٤٧/٥ - ٤٨ ،
٣٧٠/٧ - ٧١ .

(٨٩) الذهبي والحسيني ، من ذيل العبر ، (الكويت . ١٩٧٠) ، ٣٠٢ ،
وكذلك راجع عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ،
ج ٣ الملحق ص ٣٩ ، والعزاوي ينقل ما اورده ، عن ابن قاضي شهيد .

(٩٠) تور انشاء توفي ما بين عام ١٣٧٠/٧٧٢ وعام ١٣٧٧/٧٧٩
وكان قد تولى الحكم عام ١٣٤٧/٧٤٧ ويرى اوبين انه الف
كتابه « الشاهنامه » بعد عام ١٣٥٠/٧٥١ . هذا وقد قام الرحالة
البرتغالي الشهير تكسيرا بترجمته باختصار الى البرتغالية في النصف
الاول من القرن السابع عشر وعن هذه الترجمة قام وليم سنكلير
بترجمته مع رحلة تكسيرا الى اللغة الانكليزية وجعل الشاهنامه
ملعا للرحلة وعلى هذه الترجمة كان اعتمادنا وقد اشرنا اليها تحت

تكسيراً . وعنوان الرحلة مع الشاهنامة هي :-
The Travels of Pedro Teixeira, with "His Kings of Harmuz"
Translated by W. F. Sinclair, (London, 1902).

(٩١) حميد بن رزيق (١٢٩١/١٨٧٤) ، الفتح المبين في سيرة السادة
الابو سعيديين ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى . (منشورات
وزارة التراث القومي العماني) ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ٢٤٧ - ٤٨ .
(٩٢)

J. C. Wilkinson, art, "Kathat" El²

(٩٣) لعل عبارة تزوين الواردة في النص ماهي الا تحريف لاسم جزيرة
تاروت او دارين اذ لا يوجد في ساحل الخليج العربي مكان باسم
تزوين .

(٩٤) محمد بن علي الشبانكاري ، مقتطفات من مجمع الانساب المتعلقة بهرموز
نشرة اوبين لمحقق لبحث باللغة الفرنسية ، الذي سبق وان اشرنا اليه
مرارا راجع Aubin, 129-37, esp. 130 معين الدين نطنزي .
منتخب التواريخ معينسي ، تحقيق اوبين تهران ، ١٣٣٥ شمسي (١١ - ١٢ .

(٩٥) Aubin, 85. عباس اقبال ، ٣٦ .

(٩٦) التحفة النبهانية ، ١٠٠-١٠١ .
(٩٧) علي بن الحسن الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة
الرسولية ، القاهرة ، ١٩١٤ ، ١٠١-٢١١/١٣

(٩٨) للاطلاع على ترجمة مقتضية عن حياة انظر ، الذهبي ، من ذيول
العبر للذهبي والحسيني . الكويت ، ١٩٧٠ ، ٣٥ (حوادث ٧٠٦) ايضا
انظر ، ابن حجر العسقلاني ، الدور الكامنة في اعيان المئة الثامنة ،
القاهرة ، ١٩٦٦ ، ط ٢ ج ٢ ، ٦١ .

(٩٩) و صاف ، ٢٦٨ ، عباس اقبال ، ٣٧ ؛ Aubin, Op. Cit, 89-90

(١٠٠) للأطلاع على عرض شامل لتطور انواع الاقطاع في العصور
الاسلامية المختلفة ، راجع البحث القيم لكاهين .
CL. Cahen, art, "Ikta" El²

(١٠١) و صاف ، ٣٣١ - ٣٢ Aubin, 93

(١٠٢) و صاف ، ٣٠٢ - ٣٠٣ Aubin, 90

(١٠٣) Aubin, 97

- (١٠٤) مجمع الانساب ، ١٢٣ Aubin, 100
- (١٠٥) مجمع الانساب ، ١٢٣ ، منتخب التوايخ معيني ، ١٥ - ١٦
Aubin, 101-2. Teixeira, 167-71
- (١٠٦) مجمع الانساب ، ١٣٤ - ٣٦ ، منتخب التوايخ معيني ، ١٦ - ١٧
عباس اقبال ٤٢ .
- B-Spuler, Die Mongolin in Iran,
(Berlin, 1955), 151 ; Teixeira, 173-81
- (١٠٧) رحلة ابن بطوطة ، (القاهرة ، ١٩٦٤) ، ١ / ١٤٦ .
- (١٠٨)
Hamd-allh, Mustawfi of Qazwin, The Geographical part of the
Nuzhat-al-Qulub. Translated by G. Le Strange, (Leyden,
1919), 135.
- (١٠٩) صبح الاعشى ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٧ / ٣٧٠ .
- (١١٠) G. Rentz, art, "al-Katif" El². قارن ذلك بما ذكره ابن بطوطة
في رحلته ، ١ / ١٧٧
N. M. Lowick, Op. Cit, 324-30. (١١١)
- (١١٢) عباس اقبال ، ٤٢ - ٤٤ ،
Spuler, Op. Cit, 151-52. Teixeira, 181-85 ;
- (١١٣) رحلة ابن بطوطة ، ١ / ١٧٤ - ٧٥ .
- (١١٤) عن القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٧ / ٣٧١ .
- (١١٥) Aubin, 109 ; Spuler, 152 ; Teixeira, 186-82, 265.
عباس اقبال ٤٤ - ٤٥ .
- (١١٦) منتخب التوايخ معيني ، ١٨ . مما هو جدير بالذكر هنا
ان نطنزي ينفرد بذكر اسم يوسف شاه بدلا من تورانشاه ، حيث لا
يشير الى هذا الاسم . وربما يكون قد اخطأ في ذلك او انه احسد
الاسماء المعروف بها تورانشاه هو يوسف شاه . راجع ايضا .
جامع الدول ، ٢ / ٤٠٢ - ٤٠٤ (م . بايزيد) .
- (١١٧) التحفة النبهانية ، ١٠١ - ١٠٣ ; Teixeira, 188 ;

(١١٨) نظام الدين شامي - ظفر نامه مع اضافات وشروح من كتاب زبدة التواريخ بایسنقری لحافظ ابرو ، تحقيق فلکس تاور ، بيروت ١٩٣٧ ، جلد اول ، ١٦٨ ، شرف الين علي يزدی ، ظفر نامه ، تهران ، ب . ت ، جلد اول ، ٥٧٧ - ٧٨ . منتخب التواريخ معيني ، ١٩ ، جامع الدول ، ٤٠٤ . راجع ايضا Aubin, 111-14

(١١٩) لقد اختلفت المصادر كثيرا في رسم الاسم الثلاثي لصالح فورد بالاشكال التالية ابن حيلان او حولان او جولان واخيرا ابن صيلان . ولقد فضلنا استعمال اسم جولان لاعتقادنا بان ذلك ليس اسم لوالده او لقب حقيقي له وانما هو وصف فارسي له مصدره كلمة جول الفارسية التي تعني الصحراء فليل له جولان اي البدوي .

(١٢٠) ابن الفرات (ت ٨٠٧/١٤٠٤) ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين بيروت ١٩٣٨ ، م ٩ ج ٢ ، ٣٤٧ - ٤٨٠ . ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، القاهرة ١٩٦٩ ، ٤٥٣/١ ، وابن مصري ، كتاب الدرر المضيئة في الدولة الظاهرية ، تحقيق وليم م . بريز ، بركلي - كاليفورنيا ، ١٩٦٣ ، ٨٧١/٢ ، الصيرفي ، انباء الهجر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ٣٦٦/١ ، ابن تغري بردی ، انجم الزاهرة ، ٢٦١/١٢ ، ابن اياس ، بدائع الزهور ، بولاق ١٣١١ ، ٣٠٠/١ - ٣٠١ ، عباس العزاوي ، العراق بين احتلالين ، بغداد ١٩٣٦ ، ٢١١/٢ .

ومما هو جدير بالذكر ان ابن خلدون عند حديثه عن قبيلة عبادہ وبعد ان حدد موطن سكانهم في البطائع ما بين البصرة والكوفة وواسط قال بان الامارة فيهم على ما يبلغنا لرجل اسمه قبان بن صالح وهو في عدد ومنعة ويفهم من عبارات ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥ - ٦) « لهذا العهد » وعلى « ما يبلغنا » ان ذلك كان وضع قبيلة عبادہ عندما كتب تاريخه . وهذا الامر يحسننا على القول بان قبان هذا من الممكن ان يكون ابن صالح بن جولان وانه خلف والده في الزعامه . وان اصح ما ذهبنا اليه فيكون صالح بن جولان ما هو الازعيم بني عبادہ وانه اصبح حاكما للبصرة ، ثم منها مدى نفوذه الى البحرين وبذلك يكون قد ضم كافة بعلون عقيل في هذه المنطقة تحت زعامته . راجع تاريخ ابن خلدون ، بيروت ١٩٦٨ ، ٢٥/٦ .

(١٢١) السخاوي ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، القاهرة ، ١٣٥٣ - ١٣٥٥ ، ١٧٥/٦ ، ١٧٣/١٠ . كذلك انظر ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ١٠٢/٣ .

(١٢٣) جامع الدول ، ٢ / ٤٠٤ (م . بايزيد) .

(١٢٤) جامع الدول ، ٢ / ٤٠٤ :

(١٢٥) مثال على تلك الدراسات ، ابحاث روتون Rowton والتي سبق ذكرها ، كذلك دراسات روزنفيلد التي تناول بها التحولات الاجتماعية التي رافقت تكوين امارة ابن رشيد وهي :

Henry Rosen Feld ;

The Social Composition of the Military in Process of State Formation in the Arabian Desert, Part I & II, the J. of the Royal Anthropological Institute of G. Britain & Irland, Vol. 95, 1965 75-86 & 174-94.

ثم دراسة الشعفي حول التنظيم العسكري للدولة السعودية الاولى تحت عنوان :

M. El-Shaafy, The Military Organisation of the First Sa'udi State, The Annual of leeds University Oriental Society, Vol. VIII, 1969-73, PP. 61-74.

واخيرا دراسة لينهارت Lienharat حول سلطة الشيوخ في الخليج العربي التي سبق الاشارة اليها .

(١٢٦) نهاية الارب ، ١٠٦ - ١٠٧ ، وصبح الاعشى ، ٣٧٠/٧ - ٧١ .

(١٢٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ٣٧٠/٧ - ٧١ .

(١٢٨) الدور الكامنه ، القاهرة ١٩٦٦ ، ١ / ٧٥ .

(١٢٩) رحلة ابن بطوطة ١ / ١٣٩ ، وعمدة الطالب ، ١٤٦ - ٤٨ ، العصامي ،

سمط النجوم العوالي ، ٤ / ٢٣٥ .

(١٣٠) عمدة الطالب ، ١٤٩ .

(١٣١) سمط النجوم العوالي ، ٤ / ٣٦٨ - ٦٩ .

(١٣٢) تحفة المستفيد ، ١ / ١١٩ .

(١٣٣) ملح ، ذكرها ياقوت بأنها في بلاد البحرين . اما محمد العبد القادر (التحفة ، ٢٨) فيرى بأنها قرية عامر قريبة من الكويت . اما اذا

كان الشاعر قد قصد بها ملح ، فأن ياقوت قد ذكرها بأنها ناحية
من نواحي الحساء وهي قرب انطاخ .
انطاخ او نطاخ ، قال عنها ياقوت بانها وادي ونخيل بين البحرين
والبصرة .

متالع ، جبل بناحية البحرين بين الودة والحساء ، وفي سطح هذا
الجبل عين ماء يقال لها عين متالع .

القرعاء ، وربما هي القرحاء ، قرية من قرى الحساء وقد تكون
هي الجرعاء القديمة ، الميناء المعروف من عصر ما قبل الاسلام ،
والتي حلت محل العقير . وقد ذكر الهمداني بأن الجرعاء سوق
في الحسا على كتيب يسمى الجرعاء (صفة جزيرة العرب ، ٢٨١) .
حول تحديد مواقع هذه الاماكن راجع تحفة المستفيد ، ٢٣ ، ٢٧ -
٢٩ .

(١٣٤) عمدة الطالب ، النجف ١٣٨٠/١٣٦١ ، ط ٢ ، ١١٦ .

(١٣٥) الضوء اللامع ، ٢٥٦/٩ - ٢٥٧ .